سفن روسية

في

الخليج

1903 . 1899

مواد من ارشيف الدولة المركزي

للاسطول البحري الحربي

دار التقدم

موسكو 1990

مقدمة

العرب والروس...ان القرب الجغرافي والتاريخي بين هذين الشعبين قد كان منذ ازمنة القرون الوسطى يهيء وشائج الاتصال بينهما ويتيح لهما التعرف على بعضهما البعض. وكان الرحالة والتجار والحجاج الروس إلى الاماكن المقدسة يجوبون سيرا على الاقدام كثيراً من الاقطار العربية، وقد سبق لهم في القرون الوسطى ان قاموا بمحاولات للملاحة في المياه الدافئة . ففي القرن الخامس عشر وصل التاجر الروسي افاناسي نيكيتين إلى مضيق هرمز، ومنه بلغ الهند عبر بحر العرب. وقد تحدث في كتابه "تجوال في ثلاثة بحار" عن رحلته وعن بلدان بعيدة، بما فيها بلدان الخليج. لقد كان حب الاطلاع والمصالح التجارية والدوافع الدينية تحرك الاناس الروس في ذلك الزمن. بل والتجار العرب ايضاً كانوا منذ زمن بعيد يزورون منطقة نهر الفولغا ويتحدثون لدى عودتهم عن روسيا البعيدة. الا انه لا تزال مجهولة لدى القارئ العربي صفحات مثيرة تلك الرحلات القروسطية الأولى التي دشنت تاريخ العلاقات الروسية العربية.

في وقت لاحق اخذت روسيا تبدى اهتماماً سياسياً ايضاً بالعالم العربي. وكان مرد ذلك إلى القوة المتعاظمة للدولة الروسية، والنضال الحاد ضد إيران وتركيا العثمانية اللتين كانتا تهددان دائماً الحدود الجنوبية للامبراطورية، وعند القرن التاسع عشر أصبحت لدى روسيا خبرة ثرة في الاتصالات مع الشعوب العربية، ولا سيما مصر وسوريا وفلسطين.

في أواخر القرن التاسع عشر احتدم الصراع بين الدول الامبريالية للاستيلاء على بلدان الشرقين الأدنى والاوسط. فقد استولت بريطانيا على جنوب الجزيرة العربية، ومشيخات وامارات الخليج، وجنوب إيران وجزئها الأوسط. وكان يزاحم بريطانيا كل من فرنسا والمانيا وروسيا. واثارت انتفاضة الجنود عام 1878 الذعر في قلب الشاه الإيراني فطلب النجدة من قيصر روسيا في ان يساعده على انشاء تشكيلة عسكرية قورزاقية تؤمن له حماية مضمونة. لقد كان اللواء القوزاقي، الذي انشئ في ايران، يخدم المصالح الاستعمارية لروسيا القيصرية. فقد امتد نفوذها إلى الجزء الشمالي من هذا البلد.

وقد ساعد على تعزيم مواقع انجلترا في الخليج في تلك الفترة عقد معاهدات غير متكافئة مع سلطان عمان ومشايخ عمان المعاهدة عام 1873، ومع شيخ البحرين عام 1880، وشيخ الكويت عام 1899. وحاولت فرنسا والمانيا التسلل إلى هذه المنطقة عن طريق الحصول على امتيازات كان من اهمهما الامتياز الالماني على خط سكك بغداد. غير ان هذه المحاولات اصطدمت بمقاومة ضارية من جانب الانجليز الذين لجأوا لدى ذلك إلى جميع الوسائل الممكنة: استثارة الانقلابات، وارتكاب عمليات اغتيال سياسية، واقتراف عمليات تنكيلية. في هذه الفترة بالذات، عند تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين، ارسلت روسيا، شأنها شأن فرنسا، سفنها الحربية والتجارية إلى منقطة الخليج، الأمر الذي كان بمثابة تظاهرة عسكرية سياسية لكنها لم تهز دعائم السيطرة البريطانية في المنطقة. وبهذا اعلنت بريطانيا منطقة الخليج العربي منطقة نفوذ لها. وقد صرح بذلك علناً لحكام المشيخات المحلية في أواخر عام 1903 نائب ملك الهند اللورد كيرزون أثناء جولته في منطقة الخليج العربي.

وثبتت وجود المنطقة في دائرة النفوذ البريطاني نهائياً الاتفاقيتان المعقودتان بين بريطانيا وفرنسا عام 1904 وبين بريطانيا وروسيا عام 1907. بعد ذلك استمر بعض الوقت الصراع البريطاني الالماني، ولكنه انتهى بتخلي ألمانيا عن مواصلة مد خط سكك حديد بغداد حتى ساحل الخليج رغم ان برلين كانت قد وطدت مواقعها في إيران. كما اقدمت تركيا ايضاً على التراجع امام ادعاءات بريطانيا.

قامت روسيا غير مرة بمحاولات الحصول على مرفأ أو محطة للفحم في سواحل الخليج، وكان ذلك أحد اهداف ظهور سفن روسية في هذه المنطقة، ولكنه لم يقيض لها بلوغ ذلك.

لقد كان حكام بلدان الخليج العربي يدركون جيداً الخطر الناجم عن تقوية التواجد الأجنبي في المنطقة. فقد كان أمير الكويت مبارك بن صباح الصباح (1896.1915) يسعى للمناورة للحفاظ ولو على حد أدنى من الاستقلال الوطني. فمن أجل هذه الغاية كان يعمل، في آن واحد، على تعزيز العلاقات مع الاتراك والحفاظ على علاقات ولاء مع الانجليز. غير ان بريطانيا اجبرت مبارك عام 1907 على عقد اتفاقية سرية معها اعتبرت تركيا بموجبها من "الحكومات الأجنبية". وابتداء من هذا التاريخ اصبحوا في لندن يعتبرون الخليج العربي "بحيرة بريطانية".

وهكذا تسنى في أعوام 1899 . 1903 لروسيا دخول الخليج العربي لفترة قصيرة من الزمن. وتعود إلى هذه الفترة مواد ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي السوفييتي في لينيغراد، المدرجة في هذا الكتاب، والتي تعتبر أول عملية نشر من هذا النوع تفتح صفحات جديدة من التاريخ لا بالنسبة للقارئ العربي وحسب بل وبالنسبة للقارئ السوفييتي ايضاً. أكيد ان ارسال سفن حربية روسية إلى الخليج كان مرتبطاً بمصالح روسيا في مجابهة خصومها التقليديين في الشرق. فإن روسيا القيصرية، شأنها شأن الدول الغربية ايضاً، كانت تصارع في سبيل

مناطق النفوذ. ولكن لا يجوز، لدى انتقاد السياسة الامبريالية لروسيا، التجني على الحقيقية التاريخية. وهذه الحقيقة تتلخص في ان الدولة الروسية كانت ذات مصلحة موضوعية في تطوير العلاقات مع العالم العربي، بينما كان اضعاف مواقع العثمانيين والمستعمرين الغربيين في المشرق العربي، وهو الأمر الذي كانت تسعى إليه الدولة الروسية، يتجاوب مع مصالح الشعوب العربية. وهذه المصلحة المتبادلة بالذات هي التي كانت، بالدرجة الأولى، تستثير العطف الذي كانوا يبدونه في ذلك الزمن لممثلي روسيا في العالم العربي كله، ولا سيما في مشيخات وامارات الخليج.

تبين المواد المنشورة، بصورة مقنعة، الروح الديمقراطية للناس الروس الذين كانت علاقاتهم مع السكان المحليين تختلف اختلافاً تاماً عما كان يبديه ممثلوا بريطانيا العظمى وفرنسا وسائر دول أوروبا الغربية الذين كانوا يعاملون العرب معاملة متعجرفة ومتعالية ولا إنسانية.

ان واضعي هذا الكتاب، إذ يؤكدون على موقف الناس الروس الطيب المتعاطف مع سكان بلدان الخليج العربي، لا يزمعون اطلاقاً الاضطلاع بدور المدافعين عن سياسة روسيا القيصرية في الشرق. فالدولة السوفييتية، التي انشئت في اعقاب انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية السوفييتية نصوص معاهدات الدول الامبريالية حول تقسيم العالم، واعتبرت جميع المعاهدات غير المتكافئة، التي عقدتها روسيا مع بلدان الشرق، باطلة.

ان تطور علاقات الاتحاد السوفييتي في ايامنا هذه مع الدول العربية في الخليج يرتكز على المصالح المشتركة وتقاليد الصداقة والتعاون بين شعوب البلدان العربية والاتحاد السوفييتي. ويأمل واضعوا الكتاب في ان هذا العمل سيخدم القضية النبيلة للتقارب بين شعوبنا، والتعارف المتبادل، والاطلاع على صفحات جديدة من تاريخ علاقاتنا.

ىئكتكئمذ غنئئئكى مئأهلگنك

ةصهنت

تشمل مواد ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي السوفييتي في لينينغراد، المتعلقة بسياسة روسيا القيصرية في منطقة الخليج العربي، فترة زمنية غير كبيرة تمتد من عام 1899 إلى عام 1903.

ان اهتمام الدبلوماسيين والساسة الروس بالخليج العربي نشأ، بادئ الامر، من جراء تغلغل روسيا الناجح إلى إيران عند تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين، وتصادم المصالح الاستعمارية الروسية والبريطانية في هذه المنطقة. وقد ادت هزائم بريطانيا في المرحلة الأولى من حرب البوير إلى اصابة مواقعها السياسية الخارجية بضعف شديد في الشرقين الأدنى والاوسط، الأمر الذي حاول خصوم بريطانيا الاستفادة منه. كما لعب دوراً معيناً في اهتمام الساسة الروس بهذه

المنطقة كون المشيخات العربية الواقعة على سواحل الخليج موجودة من الناحية الشكلية ضمن اراضي الخصم التقليدي لروسيا القيصرية في منطقة الشرق الأوسط . تركيا العثمانية. وكانت الخطط الالمانية لمد خط سكك حديد بغداد، الذي كان ينبغي له اجتياز اراضي تركيا وربط البحر الأبيض المتوسط بالخليج العربي، تناقض المصالح الاقتصادية والعسكرية والسياسية الروسية والبريطانية على السواء. وهذا ايضاً كان يحفز اهتمام روسيا بالخليج العربي، ولا سيما بالكويت باعتبارها المحطة النهائية المحتملة لهذا الخط(1).

كانت إحدى الوسائل الاساسية للسياسة الروسية في الخليج العربي ارسال سفن حربية إلى هناك(2). ولهذا السبب بالذات حوفظ في ارشيف الأسطول البحري الحربي على أهم المواد المتعلقة بتاريخ اتصالات روسيا وبلدان الخليج، ليس فقط على المواد المرتبطة مباشرة بدخول سفن حربية روسية إلى الخليج، بل ايضاً على رسائل الممثلين الدبلوماسيين الروس المتوازية لذلك، والمذكرات، والمعاهدات، وما شابه، التي كانت ترسل إلى وزارة البحرية للاطلاع عليها. ان استعراض هذه الوثائق يتيح اعطاء صورة موجزة عن مجمل تاريخ هذه الصفحة غير الكبيرة، ولكنها الهامة، في تاريخ الروابط الروسية العربية.

ان مواد ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي تتيح الاجابة على دائرة واسعة من الاسئلة. لقد كانت تثير اهتمام البحارة الروس ظروف الملاحة والاحوال الجوية، وكانوا يصفون المراسي ويعطون لمحة موجزة عن الوضع الجغرافي والحالة التجارية الاقتصادية(3) والسياسية في موانئ الخليج. وقد توقفنا بصورة متعمدة عند ناحية واحدة فقط تثير، في رأينا، اشد الاهتمام، ألاّ وهي تاريخ اتصالات الروس السياسية مع عرب الخليج. ان توسيع هذه الاتصالات، الذي كان يصاحبه نمو في الاهتمام والود المتبادلين، لم يكن يروق للانجليز الذين كانوا يعتبرون انفسهم اسياداً غير منازعين على المنطقة باسرها. لذا، فان وصف الاتصالات الروسية العربية في هذه المنطقة يبقى ناقصاً بدون عرض المحاولات البريطانية لقاومة النفوذ الروسي المتزايد.

في تلك الفترة كانت سمعة روسيا لدى الشعوب العربية مرتفعة جداً بالاجمال. ويتعلق ذلك، خاصة، بمنطقة سوريا وفلسطين حيث كان يمكن للمرء، حسب اقوال شهود عيان، ان يتجول فيها معتمداً فقط على معرفته للغة الروسية (4). وفي فترة حرب القرم(1853.1856) بين روسيا وتركيا كان العرب، وهم يعتبرون روسيا حليفا لهم في النضال ضد تركيا العثمانية، يرفضون القتال ضد الروس. وقد اشار يليسييف، الذي تجول في ربوع الشرق الادنى في اواخر ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، إلى أن "المسلمين هناك لم يعودوا يساوون الروسي لا بالالماني،ولا بالفرنسي، ولا سيما بالانجليزي، وفي كل مكان، حيث كان ينم عن زي القومي فقط، في كل مكان كنت اصادف موقفاً ودياً واسمع الترحيبات وعبارات باللغة الروسية المكسرة، ولم ألق عداء في أي مكان. وحتى في الاوقات الاخيرة لقصف مدينة الاسكندرية،عندما كان البدو وعامة

المصريين يضربون الاوروبيين ضربا مبرحاً، كانت كلمتا "انا موسكوفي" تنقذان الروس من المصير المشترك"(5). وقال رحالة آخر، الكاتب الروسي ماركوف، في عام 1880 ان "الحقد على انجلترا جعل من المصريين اصدقاء حميمين لروسيا، الامر الذي لاحظته غير مرة اثناء تجوالي في ربوع مصر"(6). ونجد في مدونات الرحالة الآخر بيرغ شهادة هامة لشخص برتغالي عاش مدة طويلة في القاهرة عن موقف البدو من الاجانب: "أن هذا الشعب يحب الروس كثيراً مفضلاً اياهم على جميع الاوروبيين الاخرين،وهل تدرون لماذا: لأن الروسي يعاملهم معاملة اكثر بساطة واكثر انسانية. اما الفرنسي والانجليزي ، ولا سيما الاخير، فيعاملانهم كما يعاملان الحيوانات"(7). وضابط الاركان العامة الروسية دافلاتشين، الذي زار مكة عام 1898، "اصيب بدهشة سارة جداً من ان وطننا الحبيب يتمتع بجاذبية خاصة وسط سكان الحجازالبعيدة ايضاً"(8).

على امتداد بضعة قرون كانت البرتغال في البدء، ومن ثم بريطانيا العظمى، تشغلان وضعا مهيمناً على الخليج ولكن، مع ازدياد دور بلدان الخليج في السياسة العالمية عند تخوم القرنين التاسع عشر والعشرين وارتفاع القدرة البحرية للدول الاوروبية الاخرى، اخذت سفن هذه الدول تؤم موانئ الخليج. ففي صيف عام 1880، مثلاً، وصلت إلى مرفأ بوشير (بوشهر) بعثة تجارية يابانية، بينما قامت سفينة حربية يابانية بزيارة موانئ الخليج. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1886، دخلت مرفأ بوشهر الفرقاطة الأميركية "بروكلين" التي قام قبطانها، بصحبة احد الضباط، برحلة من بوشهر إلى شيراز. وفي تشرين الأول (اكتوبر) 1887 زارت بوشهر سفينة التدريب النمساوية . المجرية "فاسديد"، وفي كانون الأول (ديسمبر) سفينة خفر السواحل الايطالية "رابيدو".وفي آب (اغسطس) 1895 وصلت إلى الخليج اول سفينة حربية ألمانية أيظاً: الطراد من الدرجة الرابعة "كورموران". ولكن ينبغي الاشارة إلى انه سبق لقبطانين المانيين عام 1885 أن ساقا إلى الخليج من بريمان وقادا مدة من الزمن السفينة الوحيدة للاسطول الحربي الايراني: سفينة خفر السواحل "بيرسيبوليس"(9).

كان بمثابة فاتحة لفصل جديد غير كبير، ولكنه ساطع، في العلاقات بين روسيا وشعوب الخليج العربي الدخول العرضي للطارد الروسي المساعد "نيجني نوفغورود" إلى مسقط وجاسك (24 آب . 1 ايلول 1883). فقد اضطر الطراد "نيجنى نوفغورود"، وكان موجوداً في قوام ما يسمى "بالاصطول الطوعي" الذي كان يقوم برحلات تجارية لنقل الحمولات والركاب من الموانئ الروسية الغربية إلى الشرق الاقصى، اضطر بسبب سوء الاحوال الجوية للانحراف عن خط سيره والانتظار في مرسى مسقط ريثما يتحصن الطقس (رجع الارشيف: الملف 417، القائمة 1، الاضبارة 456، ص 342.341، 417، 1، 1016، 234.233، 255 . 257). لم يكن "الاسطول الطوعي"، من الناحية الشكلية، داخلاً في البنية التنظيمية لوزارة البحرية، ولذلك فان

ارشيف الاسطول البحري الحربي لا يتضمن اية مواد خاصة عن هذه الزيارة. ومن المعلوم ان الضباط الروس استقبلوا بالحفاوة من جانب سلطان مسقط. ويتضح من مواد الارشيف ان فترة زيارة السفينة الروسية تطابقت زمنيا، بمحض الصدفة، مع فترة التفاقم الدوري للنزاع البريطاني الفرنسي بسبب مسقط، وانه لا ينبغي ربطه بالقيام المقصود باي عمل سياسي ما(10). غير ان هذه الحادثة العرضية اعتبرت في الاوساط البريطانية الهندية. بمثابة تظاهرة سياسية ضمن اطار "الوفاق" الفرنسي الروسي (11).

كما اثار قلق الانجليز نشاط الاطباء الروس مارك ويوست ورادزيفيتش وكورنويفسكي وباشكوفسكي في بلدان الخليج العربي الذين ارسلوا إلى هنا مؤتمر البندقية للطاعون، واشتركوا في مكافحة وباء الطاعون. واثار ريبة خاصة لدى الانجليز ان الاطباء الروس كانوا يعالجون السكان المحليين مجاناً(12). ربيع عام 1899 ظهر في مياه الخليج فجأة الطراد الالماني "اركونا". واثارت زيارة هذا الطراد الالماني اضطراباً شديداً في نفوس ممثلي بريطانيا في الخليج لانهم ظنوا بادئ الامر انه سفينة حربية روسية. واذ علم المبعوث الروسي في طهران ارغيروبولو بذلك راح يوصي بكل الحاح بارسال سفينة حربية روسية إلى الخليج(13).

وبعد مراسلات مديدة نسبياً تم اخيراً ايجاد امكانية لارسال سفينة روسية واطئة المتن إلى الخليج، هي سفينة خفر السواحل "غيلياك" وقد صادق القيصر الروسي نيقولاي الثاني على قرار ارسال سفينة حربية روسية إلى الخليج العربي. لم يحتفظ ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي بالتعليمات التي تلقاها قبطان سفينة "غيلياك" قبل اقلاعها.إلاّ انه من المعروف ان هذه التعليمات باتت فيما بعد اساساً للوثائق المماثلة المخصصة لقباطنة السفن الحربية الروسية الأخرى. وبالاضافة إلى ذلك توجد في ارشيف سياسة روسيا الخارجية رسالة موجهة من وزير خارجية روسيا لامزدورف إلى الامين العام لوزارة البحرية طيرتوف، وضعت على اساسها التعليمات التي وجهت إلى قبطان "غيلياك". تشير هذه الرسالة إلى ان هدف ارسال السفينة الروسية هو ان "نبين للانجليز، وللسلطات المحلية على حد سواء، بواسطة عرض العلم الروسي في الخليج العربي، اننا نعتبر مياه هذا الخليج سهلة المنال تماماً امام ملاحة سفن جميع الامم، وذلك على النقيض من سعي حكومة بريطانيا العظمى لتحويلها إلى بحر مغلق يقع في دائرة نفوذها فقط. وعليه، ففي حال قيام"غيلياك" بالرحلة المقترحة فان القضية قد لا تتعدى احداث انطباع معين بدون اية مآرب عدوانية أو السعي لاحراز مكاسب اقليمية"(14). عشية اقلاع "غيلياك" وقع حادث ديبلوماسي اثارته دعوات الصحافة الروسية الرجعية إلى الحصول على قاعدة في بندر عباس. لذلك فقد اصر لامزدورف على اعطاء قبطان "غيلياك" تعليمات بان "يلتزم بالحصافة والحذر الشديدين لكيلا يعطي بتصرفاته، بابي حال من الاحوال، ذريعة للاستنتاج بان ضرورة ظهور العلم الروسي في المرافئ المقصودة تخفي وراءها اية مآرب سرية

كانت، لا تتوافق مع تلك البيانات المهدئة التي اعطيت للحكومات المعنية بصدد اخبار الجرائد عن استئجارنا مرفأ بندر عباس".

عشية وصول "غيلياك" إلى الخليج العربي اخذ الانجليز يروجون هنا بصورة شديدة لاشاعات تقول ان "غيلياك" سفينة عتيقة خشبية غير أهلة للملاحة في الخليج، وأنها سوف تغرق قبل اتمامها رحلتها. وكانوا يؤكدون، من جهة اخرى، ان الروس على استعداد لانزال قوات لاجل الاستيلاء على بوشهر، ومسقط، و.........البصرة(15).

المرفأ الأول للخليج العربي، الذي دخلته "غيلياك، كان بندر عباس. واثار وصول السفينة اهتماماً شديداً لدى السكان المحليين. وكانت "غيلياك" تستقبل على متنها في اليوم الواحد 100 زائر من العرب والهندوس والايرانيين. غير ان العلاقات مع السلطات الايرانية، التي استقبلت السفينة الحربية الروسية بالحفاوة بادئ الامر، تأزمت بصورة غير منتظرة. فعلى اثر دخول "غيلياك" بندر عباس كان ينبغي لمركب بريطاني محمل بالفحم ان يدخل هذا المرفأ وفق اتفاقية مع شركة بومباي، وعند ذلك طلب قبطان "غيلياك" اندرينيوس من الحاكم العام الايراني السماح له بان يترك موقتاً على الساحل ذلك الجزء من الفحكم الذي لا تستطيع "غيلياك" انتأخذه على متنها، وذلك بحيث تتمكن من اخذه لدىعودتها من الجولة في الخليج. وافق الحاكم العام بادئ الامر، ولكنه رفض فيما بعد بذرائع مختلفة. ويحتوي الارشيف على النص الانجليزي لرسالة اندرينيوس وجواب الحاكم باللغة الفارسية (417، 2037، 616.213). وفي النهاية اضطر اندرينيوس لتحميل الفحم كله في السطح العلوي، مما ادى إلى جعل منظر السفينة، المطلية بالدهان الابيض، منظراً قبيحاً، والى زيادة سوء قدرتها على الابحار .وكما تبين فيما بعد فان رفض الحاكم العام كان نتيجة للدسائس والتهديدات من جانب الانجليز . فقد تسنى لاندرينيوس ان يستوضح من مصادر مختلفة انه حالما علم الانجليز بأن "غيلياك" اتجهت نحو الخليج العربي وان مركباً محملاً بالفحم يتجه إلى بندر عباس، قامت القنصلية العامة البريطانية في بوشهر بنشاط محموم. فقد ارسلت إلى بندر عباس الطراد "بومونيه" الذي قام قبطانه باخافة الحاكم العام من ان الروس سيضعون حراسة مسلحة لحماية الفحم، وان ذلك سيكون الخطوة الاولى لاحتلال بندر عباس من جانب روسيا. وكانت سفن الاسطول البريطاني في الخليج، بعد تعزيزها بطرادين، ترافق تفوقها. وعلاوة على ذلك طلب الانجليز من الشركات الاجنبية في مرافئ الخليج شرائه إلاّ بفضل وساطة قبطان سفينة خفر السواحل الفارسية "بيرسيبوليس". بعد بندر عباس اتجهت "غيلياك" إلى بوشهر، إلاّ انها اضطرت، بسبب الاحوال الجوية ومزاياها البحرية المتردية، لتعريج على مرفأ دايرة حيث جرى تبادل للزيارات والهدايا مع محافظ المدينة الذي استقبل الضباط الروس ببالغ الحفاوة.

في بوشهر استقبل الضباط الروس الحاكم العام احمد حافظ (داريا بك) الذي كانت توجد تحت امرته جميع المرافئ الفارسية في الخليج. وطلب منهم المعذرة على سلوك محافظ بندر عباس واقترح التعويض عن الخسائر، وقدم فحمه. ودعي الروس إلى الغداء عند المحافظ الذي تحادث معهم بصراحة تامة. واعرب بوجه خاص عن ارتياحه لزيارة السفينة الروسية التي نسفت هيمنة الانجليز في الخليج، ووضعت الايرانيين غير مرة في حالة صعبة. كما حدثهم عن كيفية استغلال الانجليز، لاهدافهم السياسية، الحجر الصحي الذي يفرضونه على الموانئ الايرانية. واكمل حديثه كبير اطباء مستشفى تفليس العسكري شنيافسكي الذي ارسلته إلى منطقة الخليج العربي اللجنة الروسية لمكافحة وباء الطاعون. وقد التقاه اندرينيوس في هذه المأدبة واخذه إلى السفينة، بناء على طلبه، للابحار إلى البصرة ذهاباً واياباً. فبسبب وباء الطاعون في مرافئ الهند البريطانية قررت ايران فرض حجر صحي في مرافئها، وبما انها لم تكن تملك الوسائل الضرورية لذلك وافقت على اقتراح الانجليز بتنظيم الحجر الصحي على حسابهم. لقد كان الحجر الصحي الانجليزي، من وجهة النظر الطبية، في وضع فظيع . فلم يكن يوجد لديه لا اطباء ولا صيدليات ولا مبان. ولكن الانجليز كانوا يستغلون ذلك لاجل عرقلة تنقل الاشخاص غير المرغوب فيهم. من ذلك، مثلاً أن مركب القنصل العام الالماني، الذي كان ينوي القيام بجولة في ايران، مكث في المحمرة (خرم شاه) 21 يوماً تحت الحجر الصحي، في حين ان رئيس مركز التلغراف البريطاني، الذي وصل إلى بوشهر من بومباي حيث كان ينتشر الطاعون، نزل إلى الشاطئ يوم وصوله. كما روى محافظ بوشهر ان الانجليز يخيفون المرشدين البحريين ويشترون ذممهم لكلي يرفضوا ارشاد السفن الاجنبية.

كانت القنصلية الروسية في بغداد تستعد بنشاط لاستقبال "غيلياك". وتوجه القنصل كروغلوف وسكرتير القنصلية اوفسيينكو بطريق النهر من بغداد إلى البصرة، غير ان قبطاني السفينتين البريطانيتين اللتين كانتا تقلان الدبلوماسيين الروسيين تلقيا اوامر بتخفيف سرعة سفينتيهما إلى اقصى حد. زد على ذلك ان السفينتين كانتا تسيران في مجرى نهر دجلة اثناء النهار فقط، ولذا فقد استغرقت الرحلة مدة تزيد ثلاثة ايام عن مدتها العادية. ولكن "غيلياك" تأخرت هي الأخرى من حسن الحظ ووصل الدبلوماسيان الروسيان في الوقت المناسب(16).

وجواباً على محاولات القنصل البريطاني في البصرة فراتيسلاف لعرقلة استقبال السفينة الروسية (طلب القنصل من الحاكم العام التركي محسن باشا منع رفع العلم الروسي على المبنى الذي كان ينبغي ان يكون مقراً موقتاً للمثلين الروس، وعدم القيام بزيارة جوابية لكروغلوف، الخ)، قام كروغلوف واوفسيينكو بنشاط عاصف (17). ولكن قبطان "غيلياك" ابرق فجأة من بوشهر يقول انه إذا كان سيضطر في البصرة لتمضية عشرة ايام عادية تحت الحجر الصحي فان "غيلياك" لن تستطيع زيارة هذا المرفأ. ورغم مقاومة الانجليز تسنى للدبلوماسيين الروسيين الحصول على

اذن من مجلس الصحة العالمي بتخفيض مدة الحجر الصحي حتى خمسة ايام. ورداً على ذلك منع فراتسيلاف اصحاب القوارب البخارية البريطانية من استقبال الدبلوماسيين الروسيين على متن قواربهم، غير ان قاربا تركيا اوصل اوفسيينكو، بناء على امر الحاكم العام التركي، إلى الفاو لاجل استقبال "غيلياك" (18).

واستعداداً لدخول "غيلياك" مرفأ المحمرة اجرى القنصل الروسي كروغلوف محادثة مع الشيخ خزعل الذي كان يعول على المساعدة الروسية في محاولاته لمجابهة تدخل الانجليز الذين كانوا يطالبونه بدفع مبلغ فوق طاقته لقاء مساندة كفاحه ضد السلطات الايرانية في سبيل الاستقلال الذاتي الداخلي. وفي معرض حديثه عن الانجليز اعلن خزعل لكروغلوف: "ليس لدى هؤلاء المتكبرين قلب ولا نبالة، ان كل شيء لديهم منوط بالنقود، ولذا يستحيل تصديقهم"(19).

يحتوي تقرير القبطان اندرينيوس على وصف للوضع السياسي في المحمرة. ومما جاء فيه ان الشيخ خزعل كان، خوفاً من عمليات الاغتيال، يحتفظ في قصره بحرس مسلح قوامه 1000 شخص، علماً بان اثنين أو ثلاثة منهم كانوا يرافقونه في كل مكان. وخوفاً من الاختطاف السري لم يقم في يوم من الايام بزيارة سفن اجنبية، ولذا فلم يزر سفينة "غيلياك" ايضاً وارسل ابن شقيقه نيابة عن نفسه. ولم تكن تخوفات الشيخ في غير محلها، إذ ان سكرتيره الشخصي وقبطان يخته البخاري كانا، في رأي كروغلوف، مخبرين مأجورين للانجليز (20).

بعد مغادرة المحمرة وصلت "غيلياك" إلى البصرة. وبعد تمضية مدى الحجر الصحي ادت التحية للحاكم العام محسن باشا بطلقات المدفعية. واثار تبادل التحايا المدفعية احتشاداً عارماً من الناس، وجرت زيارات متبادلة ومآدب احتفالية عديدة، واحيط الروس بأرفع درجات الحفاوة.غير ان الانلجيز لم يتخلوا عن محاولات عرقلة الزيارة. فقد طلب الحماية من القنصل الروسي كروغوف تجار من اهالي البصرة كانوا يجلبون الى السفينة المأكولات والمواد الضرورية.وقد تبين ان القنصل البريطاني كان يهددهم بالنفي الاداري حالما تبحر "غيلياك" ويسافر كروغلوف.

كان يقلق بال الانجليز، بشكل خاص، دخول السكان المحليين الحر إلى "غيلياك"، وهي سفينة حديثة البناء (عام 1896) كانت السفن البريطانية العتيقة تبدو امامها باهتة للغاية.

كما احدثت انطباعاً شديداً في نفوس السكان المحليين المصابيح الكاشفة الكهربائية لـ "غيلياك" التي لم يكن لها مثيل في السفن البريطانية(21).

بعد البصرة توجهت "غيلياك"، نزولاً عند رغبة القنصل كروغلوف، إلى الكويت. فقد كان الدبلوماسيان الروسيان يهيئان بكل اهتمام لدخول سفينة حربية روسية إلى هذا المرفأ. وفي عام 1899 وصل إلى الكويت التاجران ارتين اوفانيسوف وعباس علييف من التبعية الروسية، وكانت لزيارتهما بالاضافة إلى الاهداف التجارية اهداف سياسية أيضاً. وبغية تأمين استقبال لائق للبحارة الروس جرى، من خلال شخصيات متنفذة محلية،استطلاع موقف الشيخ مبارك من الزيارة

المرتقبة. غير ان السلطات التركية رفضت بكل عناد السماح لسفينة روسية بدخول الكويت. وعند اواخر شهر شباط (فبراير) فقط استطاع السفير القيصري في القسطنطينية زينوفييف الحصول على امر برقي بهذا الشأن من السلطان عبد الحميد إلى الحاكم العام في البصرة محسن باشا.

اثناء دخول مرفأ الكويت تبين ان سفينة البريد البريطانية "سفينكس" وصلت إلى هناك قبل "غيلياك". وعمل سكرتير القنصلية البريطانية وقبطان "سفينكس" على اقناع الشيخ مبارك، الذي جاء من الصحراء خصيصاً لاستقبال السفينة الروسية، بالا يقيم اية احتفالات رسمية بهذا الخصوص وان يعود ادراجه. غير ان الشيخ مبارك، الذي كان يوازن بكل مهارة بين بريطانيا وتركيا ويحاول تأليب مصالحهما ضد بعضها البعض، ونيل الاستقلال، كان يرى في روسيا حليفاً طبيعياً في النضال ضد بريطانيا. وهو لم يكتف بعدم السفر ادراجه إلى الصحراء بل دعا الروس إلى التفرج على مقره الرئاسي هناك، وأعد لهم رحلة صيد بالصقور ورحلة صيد بالكلاب. غير انه لم يتسن تحقيق ذلك لانه كان يتوجب على "غيلياك" المغادرة على الفور. ومع ذلك فقد اظهرت هذه الزيارة الاهتمام المشترك واتاحت للشيخ مبارك اقامة علاقات ودية مع ممثلي روسيا الذين بدوا له فيما بعد مفيدين جداً. ولأجل القنصل الروسي، الذي قرر العودة إلى البصرة بطريق البر، أعد الشيخ مبارك قافلة يرافقها حرس. وان الاقتراح الذي تقدم به حاكم الكويت ربيع عام 1901 برفع العلم الروسي فوق الكويت، كان بالذات نتيجة للاحاديث المديدة بين الشيخ مبارك والدبلوماسيين كروغلوف واوفسيينكو اثناء زيارة "غيلياك"(22).

من الكويت عرجت "غيلياك" مرة أخرى على بوشهر لأخذ الفحم، وشاركت في الاحتفال بعيد رأس السنة الفارسي.

وقد اعطى قبطان "غيلياك" في تقريره وصفاً دقيقاً للوضع السياسي العام في الخليج، وسعي بريطانيا لازاحة تركيا من قطر والكويت واعلان مرافئهما مغلقة بوجه سفن الدول الاجنبية. وأكد على ادراك المشايخ العرب واقع انهم في ظل السيادة التركية المعلنة يعتبرون انفسهم مستقلين عملياً، في حين ان الحماية البريطانية تعنى نهاية لكل استقلال. واعطى وصفاً مفصلاً لسياسة بريطانيا ايضاً التي تسنى لها في الواقع، بواسطة الشانتاج وشراء الذمم والتهديدات، وضع السلطات التركية المحلية تحت اشرافها. فغالباً ما كانت بريطانيا، حسب اقوال اندرينيوس، تضخم الاشكالات الطفيفة في منطقة الخليج إلى حوادث كبرى تمس، على حد زعمها، المصالح البريطانية والكرامة البريطانية. ونتيجة لذلك كان يجري استبدال الوالي التركي. وفي خاتمة التقرير نوه قبطان "غيلياك" بالاستقبال الودي الحار الذي لقيه البحارة الروس من جانب السكان المحليين الذين رأوا فيهم حلفاء لهم ضد الانجليز.

وبالاجمال، كانت الزيارة الاولى لسفينة حربية روسية، التي حدثت في إحدى أكثر اللحظات توتراً

في تطور الوضع السياسي في الخليج، نجاحاً كبيراً للدبلوماسية الروسية. وكانت لها، بالمقارنة مع زيارات السفن الروسية اللاحقة إلى الخليج، أكبر النتائج السياسية والدبلوماسية. فإن واقع دخول سفينة حربية روسية إلى موانئ الخليج العربي قد احدث انطباعاً شديداً لا في الشطر العربي فقط من الخليج بل ايضاً في إيران والهند وبريطانيا العظمى والمانيا. وشهدت على ذلك التغطية المفصلة لهذه الزيارة في الصحافة واقوال شهود العيان (23). في نيسان (ابريل) 1900 قدم وزير مالية الحكومة الروسية فتية "مذكرة إلى صاحب دلالة الامبراطور" تتعلق بضرورة اقامة ملاحة تجارية مباشرة بين مرافئ روسيا في البحر الاسود ومرافئ الخليج العربي. ومن اجل دراسة مرافئ الخليج والاسواق المحاذية له أرسلت إلى هناك "بعثةسرية" تتألف من سيروميانتيكوف بمصاحبة بيلينبرغ نقيب فوج الخيالة في منطقة بافلوفسك. كان سيروميانتيكوف، الذي يرد ذكره في الوثائق المنشورة في هذا الكتاب على انه صاحب مشروع قصر خزعل شيخ المحمرة، شخصية بهجية ورائعة الجمال. وكان مرشحاً في الحقوق في جامعة بطرسبورغ وصحفياً بارزاً نشر مقالات بالاسم المستعار سيغما، وكان ذا طبيعة مغامرة.وكانت له علاقات واسعة في اوساط البلاد، ونفذ غير مرة تكليفات سرية (في كوريا، مثلاً)، واشترك اشتراكاً نشيطاً في انشاء الشركة الصناعية لشرق آسيا وكوفئ لقاء ذلك، "بموجب الرغبة الشخصية لجلالة الامبراطور"، بمدالية القديسة حنة من الدرجة الثالثة وبهدية خارقة(34).

وبوصفه صنيعة للاوساط الأكثر مغامرة ورجعية أثار بسلوكه في مرافئ الخليج استياء حاداً لدى الدبلوماسيين الروس. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) 1900 ولدى عودته إلى روسيا حظى بمقابلة الأمير الكبير الكسندر ميخايلوفيتش ووزير المالية الروسي فيتية.وبعد مناقشة تقريره تم اتخاذ قرار نهائي بأن تقيم الشركة لروسية للملاحة والتجارة خطاً تجارياً بين اوديسا وموانئ الخليج العربي تضمنه معونة حكومية ضخمة (25).

عشية الرحلة الأولى للسفينة التجارية الروسية "كورنيلوف" ابلغ اوفسيينكو، الذي كان موجوداً في البصرة ابتداء من شباط (فبراير) 1901، ان التجار المحليين يرحبون بامكانية اقامة روابط تجارية وثيقة مع روسيا، وان الشخصيات المتنفذة المحلية اعلنت له: "ان أكثر ما يخيف الانجليز هو مؤهلات مواطنيكم وموهبتهم الطبيعية في التصادق بسرعة وكسب مودة السكان المحليين الذين يتواجدون بينهم. ان الانجليز يعيشون بيننا منذ عشرات السنين ولكنهم يبقون غرباء تماماً عن السكان المحليين، بينما افلح بحارتكم، حتى بزيارة قصيرة جداً لنا، في كسب كل عواطفنا"(26).

حاول الانجليز بكل نشاط عرقلة التجارة الروسية التي كانت تهدد احتكارهم للتجارة والنقليات. وكانوا يؤكدون للموظفين المحليين ان سفينة "كورنيلوف" ستنقل إلى هنا فريقا من الضباط الروس

سوف يحاول، بالتعاون مع فصيلة وصلت بالبر عبر ايران، الاستيلاء على البصرة، وكانوا يوحون لتجار البصرة بفكرة انهم يجازفون جداً بشحن بضائعهم على سفينة روسية متهدمة. وحتى ان القنصل البريطاني في البصرة اقترح على تاجر هندي من التبعية البريطانية الغاء عقد استئجار مبنى لممثل الروسي(27).

يحتوى ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي على "بلاغ عن الرحلة الأولى في الخليج العربي التي قامت بها سفينة "كورنيلف" من 3 شباط (فبراير) إلى 11 أيار (مايو) 1901" وضعه كلاسينغ العميل التجاري المؤقت للشركة الروسية للملاحة والتجارة. وقد زارت "كورنيلوف" آنذاك جدة ومسقط وجاسك وبندر عباس وبندر لنغه وبوشهر والمحمرة والبصرة.

رحب سلطان مسقط باقامة الخط الملاحي الروسي. واشار كلاسينغ إلى ان الكيروسين الروسي وحده كان رائجاً في مسقط، وانه لدى وصول "كورنيلوف" كان يوجد لدى أحد التجار احتياطي من 5000 صندوق. غير ان التجارة بالكيروسين الروسي كان يشرف عليها التاجر الهندي ميميني (28) الذي كان ينقل الكيروسين عبر بومباي ويستغل وضعه المهيمن لاجل الحصول على أرباح طائلة. وفي وقت لاحق، خريف عام 1902، ادت الجهود التي بذلتها القنصلية العامة إلى عقد اتفاقية، بوساطة شركة "بيرغ . بوتمان" الالمانية، حول شحن 50 ألف صندوق من الكيروسين الروسي سنوياً إلى بغداد، الأمر الذي كان يؤمن الحمولة الكاملة لواحد من مراكب الشركة الروسية للملاحة والتجارة(29).

في ذلك الحين كان يشتغل في بوشهر طبيب روسي. وفي البصرة كانوا لا يزالون يتذكرون زيارة السفينة "غيلياك"، اما تجار بغداد والبصرة فقد تقدموا باقتراح بتأسيس شركة ملاحية جديدة تحت العلم الروسي تعمل بين البصرة وبغداد، ورفعوا عريضة بذلك إلى السفارة الروسية في القسطنطينية. وصدر اقتراح من شركة النقل الرسمية التركية "اوتومان . عمان"، واقتراح آخر من المبادرين بانشاء شركة ملاحة روسية في دجلة، يقترحان اقامة اتحاد مع الشركة الروسية للملاحة والتجارة. وكان أحد المناصرين المتحمسين لهذه المبادرة التاجر البغدادي من التبعية الروسية المذكور اعلاه ارتين اوفانيسوف. وباءت بالفشل محاولات سنوات طويلة لانشاء شركة ملاحة من هذا النوع.

أثناء تجوال سفينة "كورنيلوف" في رافئ الخليج كانت ترافقها بصورة استعراضية سفن حربية بريطانية، اما البضائع الروسية المنقولة إلى هناك، التي كانت اجود نوعية من البضائع البريطانية، فقد كانت تباع بسعر ارخص بسبب دسائس الانجليز.

وإذا كانت زيارة "كورنيلوف" الأولى قد جرت بنجاح من الناحية السياسية فإن نتائجها من الناحية الاقتصادية لم تكن مدعاة للسرور الشديد. وقد برزت في ذلك سواء الأخطاء لدى اختيار السفينة (كان الغاطس العميق يعسر على "كورنيلوف" الملاحة في موانئ الخليج ذات المياه الضحلة)، أم

في ترتيب الحمولات. وكان خطأ كبيراً اختيار عميل مؤقت للشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة شخصاً انجليزياً هو أحد أصحاب شركة "هوتس وهاملتون"، اما في بغداد فشركة "بليكي وهوتس" المرتبطة بهم اوثق الارتباط، والذين كانوا يسعون لخنق التجارة الروسية في الخليج. اليكم، على سبيل المثال، مقطعاً من بلاغ القنصل العام في بغداد كروغلوف: "يكفي المرء القاء نظرة على بضاعتنا في مكتب البيت التجاري البريطاني "بليكي وهوتس"، التي اختارها عميل شركتنا، لكي يقتنع بذلك الضرر الذي سيلحقه بنا منذ البداية هؤلاء المعادون الاقحاح لورسيا. فإن التجار المحليين لن يرغبوا، على الارجح، في عدم الشراء وحسب بل وفي مشاهدة قطع البضاعة المانيفاتورية المكسرة، والمدعوكة، والملوثة، والمرمية في كومة بالمستودع. هذا، ناهيك عن التباطؤ: فقد وصلت البضاعة منذ الرحلة الأولى لسفينة "كورنيلوف"، أي من 8.7 أشهر، وهي حتى الآن لم تعرض"(30).

أثار اختيار هاملتون عميلاً تجارياً حيرة لدى التجار المحليين ايضاً الذين اعتبروا هذا الاختيار مظهراً لضعف روسيا.

نقلت "كنورنيلوف" كمية كبيرة من السكر الروسي، الأمر الذي شكل تهديداً خطيراً للمصالح الفرنسية. والحال ان السكر المكرر الفرنسي كان يشغل وضعاً مهيمناً في السوق المحلية طوال عشرات السنين.وقد اشار نائب القنصل الفرنسي في بغداد روبية في تقريره إلى ضرورة اتخاذ تدابير فعالة لاجل خنق تجارة السكر الروسية في المهد(31).

هكذا كان الوضع في الخليج عشية ظهور احدث طراد رباعي المواسير هناك، طراد "فارياغ،" الذي صادف في مرفأ عدن سفينة "كورنيلوف" العائدة.

بعد مجيء "غيلياك" مر أكثر من سنة ونصف السنة قبل ان تظهر في مياه الخليج من جديد سفينة حربية روسية. وقد افلح الانجليز، خلال هذه الفترة، في ترويج اشاعة تزعم انهم منعوا السفن الحربية الروسية من ارتياد الخليج العربي (417، 1، 2548، 62).

جرت زيارة "فارياغ" حينما كانت الأزمة الكويتية قد بلغت اوجها. وقد ورد في رسالة وزير الخارجية الروسي الدوق لامزدورف انه "لم تكن لدى روسيا في هذه المنطقة نوايا عدوانية، ولم تكن تسعى إلى امتلاك الأراضي" (417، 1، 2436، 20). فقد كان هدف ارسال "فارياغ" ينحصر في استيضاح وضع الأمور الفعلي في الخليج بعد الاتفاقية البريطانية التركية بصدد الحالة الراهنة في الكويت، ولا سيما فيما يتصل بازدياد اهميةهذا البلد بوصفه المحطة الأخيرة لخط سكك حديد بغداد. وقد انعكس ذلك كله في التعليمات إلى قبطان "فارياغ" التي وضعتها بصورة مشتركة وزارتا البحرية والخارجية. اما مدى الاهمية التي كانوا يعلقونها في روسيا على زيارة سفينة "فارياغ" فيشهد عليه كون البرقية المتعلقة باقلاع السفينة قد ارسلها القيصر الروسي نيقولاي الثاني شخصياً (المرجع السابق، ص 14)، وان خط سير السفينة بقى طي الكتمان

الشديد. بل وحتى انه حظر ابلاغ ضباط السفينة بذلك قبل مغادرة مرفأ عدن. وقد اصيب قبطان السفينة بير ونائبه كرافت، اللذان كانا وحدهما يعرفان خط السير، اصيبا بدهشة شديدة عندما اتضح في مرفأ بيريه (اليونان) ان مسلمي البضائع قد كانوا يعلمون ان الطراد يتجه إلى الخليج العربي (المرجع السابق، ص 101).

المحطة الأولى لرحلة "فارياغ" كانت مسقط (32). وتقابل ضباط الطراد مع السلطان فيصل بن تركي الذي آثار الطراد "فارياغ" اعجابه. واثناء زيارته للسفينة طلب عزف النشيد الوطني الروسي، وكان وهويستمع إليه يضع يديه على صدره وعلى رأسه. ووصف بير في تقريره تبعية مسقط سياسياً ومالياً لبريطانيا، مشيراً إلى ان محاولة الانجليز البدء بمعالجة مناجم الفحم الواقعة على مقربة من مسقط، تحت حماية الطراد "بيرساي" سفينة خفر السواحل، قد احبطتها مقاومة العرب.

قبل وصول "فارياغ" بوقت قصير افتتحت قنصليتان روسيتان في البصرة وبوشهر، الأمر الذي شهد باهتمام روسيا الشديد بهذه المنطقة(33). وقبل دخول الطراد "فارياغ" مرفأ بوشهر صعد إلى متنه عميد القنصلية العامة الروسية اوفسيينكو. وفي 6 كانون الأول (ديسبمر)، عيد قديس القيصر الروسي، رفرفت الإعلام على ظهر "فارياغ"، وشعت الاضواء، وعزفت اوركسترا السفينة الالحان في القنصلية. وقد احدث ذلك كله انطباعاً شديداً في نفوس السكان المحليين. وأنبأ بير ان البريد والبرق والبنك في بوشهر توجد في ايدي الانجليز وانهم اشتروا ذمم السلطات المحلية، ولكن السكان المحليين كانوا يناصبونها العداء. لم يتمكن الطراد "فارياغ"، بسبب غاطس السفينة الكبير، اجتياز القاع المرتفع عند جزيرة الفاو وزيارة المحمرة والبصرة. الا أن بير نوه في تقريره بأن شيخ المحمرة، الذي كان يطمح لنيل الاستقلال، امتنع عن دفع الاتاوة لايران، بينما كان الانجليز يتوقعون حدوث نزاع بينه وبين إيران لكي يستغلوا ذلك و"يدافعوا" عن الشيخ ويفرضوا عليه، بالتالي، شكلا معيناً من الاستقلال.

لدى وصول الطراد "فارياغ" إلى الكويت صعد إليه جابر نجل الشيخ حاملاً الهداية، واعلن ان الشيخ مبارك والده يوجد مع قوته المؤلفة من 3000 شخص في الجهرة على بعد 15 ميلاً من الكويت بانتظار هجوم الرشيديين. وتوجه اوفسيينكو والضباط الروس إلى الجهرة حيث لقوا استقبالاً وديا للغاية. واراهم الشيخ قواته وأقام رقصات والعاباً فروسية عسكرية. وطلب مبارك رغم انه لم يكن يوجد في معسكره مدربون أجانب.فقد تعلم الجنود البدو حفر الخنادق، وتلقوا على الطراد البريطاني "بومونيه" تدريباً على اطلاق المدافع.

وتحدث بير في تقريره عن محاولة عميل شركة الملاحة البريطانية في الكويت نصب سارية في فناء داره لاجراء مفاوضات مع الانجليز. وقد أمر مبارك بقطع السارية، والقى مسؤولية ذلك على

البدو، الا انه سمح فيما بعد باعادة نصب السارية ولكن في فناء داره هو لكي يشرف كلياً على المفاوضاف.

بعد الكويت زار الطراد "فارايغ" بندر لنغه وبندر عباس حيث جرى تبادل زيارات المجاملة. وقام الضباط الروس على متن قارب بخاري بزيارة هرمز. وان المثير للاهتمام استنتاج بير القائل بأن حاكمي مسقط والكويت، رغم تبعيتهما للانجليز، يستقبلان البحارة الروس بصورة أفضل من استقبالهما للانجليز. يستقبلان البحارة الروس بصورة أفضل من استقبالهما للانجليز. وقد اتضح فيما بعد انه أثناء زيارة الطراد الفرنسي "كاتين" إلى الكويت الذي وصل إلى هنا بعد مغادرة "فارياغ" بقليل، كان مبارك أثناء حديثه مع القبطان الفرنسي يتكلم عن "فارياغ" فقط. وقد اقترح قبطان "فارياغ" وضع سفينة خاصة تحت تصرف القنصلية الروسية بمثابة سفينة دائمة التواجد. اتسمت زيارة "فارياغ" باهمية سياسية كبيرة. وسرت اشاعة في الخليج تقول ان حديث الشيخ مبارك مع بير واوفسيينكو، الذي رفض، بالمناسبة، ابلاغ الانجليز عن مضمونه، قد حدا به إلى التصميم على انزال العلم البريطاني في رأس الأرض ورفع العلم التركي عليه (0417، 1، 2548، 62). وفي التقرير عن زيارة "فارايغ" موانئ الخليج العربي كتب اوفسيينكو يقول: "كان الطراد "فارياغ"، لدى ظهوره في مختلف موانئ الخليج العربي، يستلفت انتباه الجميع ويغدو في الحال موضع الاهتمام الشديد ومظاهر الود الصادق من جانب السكان المحليين. فإن المقاييس المهيبة للسفينة، ومنظرها الفخم، والابهة، والنظافة والترتيب في الداخل، والاضافة الكهربائية القومية، ومدافعها الضخمة، واوركسترا الآلات النحاسية التي لم يسبق لاهالي الخليج ان شاهدوا امثالها، ومختلف الأجهزة التكنيكية الحديثة، وتعداد الطاقم، والسماح بناء على نصيحتي بفتح أبواب السفينة امام الراغبين في مشاهدتها، واخيراً بشاشة ولطف البحارة الروس، كانت تثير الدهشة والاعجاب في نفوس جميع زائري السفينة وتشكل مواضيع لاحاديث لا نهاية لها في مختلف موانئ الخليج العربي لا أثناء وجود السفينة هناك وحسب بل وبعد مغادرتها ايضاً... وتحدثوا كثيراً عن الطراد الروسي لا في موانئ الخليج وحسب بل وفي سواحل الجزيرة العربية ايضاً ... وصلت الشائعات عن وصول الطراد الروسي إلى الخليج العربي إلى شيراز واصفهان"(34).

ما كاد الطراد "فارياغ" يغادر الخليج ويتنفس الانجليز الصعداء حتى وصلت إلى عدن سفينة روسية أخرى هي سفينة النقل "ينيسى". كان الدخول العادي للسفينة الروسية إلى هذا المرفأ، في طريقها إلى الشرق الأقصى، يثير لدى الانجليز توتراً عصبياً شديداً. فاخذ قباطنة السفن البريطانية يظهرون على متن "ينيسى" الواحد بعد الآخر ويطرحون السؤال نفسه : "اليست السفينة متجهة نحو الخليج العربي؟". وعلى الرغم من تأكيد القبطان على انه متجه مباشرة نحو كولومبو، فقد راقبوا "ينيسي" حتى مغادرتها هذا المرفأ (417، 1، 2512، 34).

وقد اوضحت بكل جلاء اضطراب الانجليز هذا نسخ رسائل الاختصاصي بعلم الحيوانات بوغويافلنسكي، المحفوظة في الارشيف، التي ارسلها إلى القنصلية العامة الروسية في بوشهر. وكانت "جمعية هواة العلوم الطبيعية والانثروبولوجيا والاثنوغرافيا" التابعة لجامعة موسكو قد ارسلت هذا العالم في مأمورية إلى منطقة الخليج العربي لاجل القيام بابحاث علمية. وقد زار المحمرة والكويت والبحرين ومسقط.

ففي أواخر شهر نيسان (ابريل) 1902 وصل بوغوبافلنسكي إلى البحرين حاملاً رسالة توصية إلى شيخ دارين محمد بن عبد الوهاب، وامضى في الجزيرة ثلاثة اسابيع. استقبله الشيخ بحفاوة بالغة. وعندما أمر القنصل البريطاني هوبكنز الموظف الهندي، الذي كانت جمارك البحرين توجد تحت امرته، بتفتيش حقائب الرحالة الروس، عارض الشيخ ذلك بكل حزم. ووضعت تحت تصرف بوغويافلنسكي، في البدء، غرفة جيدة في مثوى لمبيت القوافل اعجبته كثيراً، ولكن الشيخ حاول من ثم ان يستأجر له البيت الفارغ الوحيد آنذاك في البحرين الذي كان يملكه شخص إيراني عميل لشركة الملاحة البريطانية. وعندما رفض هذا الشخص ذلك تحت ضغط هوبكنز، عمد محمد بن عبد الوهاب إلى شراء هذا البيت بسعر أعلى من سعره الأولى. وإذ اسكن فيه بوغويافلنسكي قال له فيما بعد ان هذا البيت سوف يخصص بعد اصلاحه، للاشخاص الروس الذين يزورون البحرين. وكان بوغويافلنسكي يتلقى جميع الأشياء الضرورية بالاسعار المقررة للسكان المحليين وليس للاوروبيين، وكان الشيخ يزوره يومياً ويسأله عماً إذا كان كل شيء على ما يرام. وانها لمثيرة للاهتمام الأسئلة التي طرحها الشيخ على بوغويافلنسكي. فقد سأل عما إذا كان يوجد لدى روسيا عدد كبير من السفن الحربية، وعن سبب عدم وجودها في الخليج. وقد اتضح ان الانلجيز كانوا يروجون لرأي يزعم ان لدى الروس قوات برية فقط، وانه لا يوجد لديها اسطول.وسأل الشيخ ايضاً عن العلاقات بين روسيا وتركيا، وعما إذا كان يوجد كثير من الرعايا المسلمين في روسيا، وهل يعيشون في موسكو، وهل توجد لديهم جوامع؟ وتبين ان الانجليز يروجون افتراءات تزعم بأنه يجري ارغام جميع المسلمين بالقوة على اعتناق المسيحية، ويؤكدون لدى ذلك على ان الانجليز، على العكس، يقومون ببناء الجوامع في بلادهم. وقال محمد بن عبد الوهاب أن الانجليز موجودون في كل مكان في الخليج وأنه لا يوجد اوروبيون آخرون، ولذا فهم يستطيعون تصريف امورهم بلا عائق.وان ظهور الطراد الروسي "فارياغ" في مياه الخليج منح العرب قوة للنضال ضد الانجليز.وكانت رغبته التالية ترجيعاً لذلك، إذ قال: "حبذا لوان الروس ابقوا "فارياغ" في الخليج". لم تدخل الخليج حتى ذلك الزمن سفينة بضخامة "فارياغ" التي اثارت، حسب اقوال بوغويافلنسكي، انطباعاً "صاعقاً" في نفوس أهالي الساحل العربي بحجمها ومداخنها الاربع واضاءتها الكهربائية التي لم تكن موجودة لدى السفن البريطانية المبحرة في الخليج. ومما

له دلالاته في هذا الصدد ان الانجليز عمدوا، بعد زيارة "فارياغ"، إلى تجهيز سفنهم باضاءة كهربائية وارسلوا إلى الخليج طراد "امفيتريد" الشبيه الطراز بطراد "فارياغ".

ولكنه لم يتسن لهم، حسب اقوال بوغويافلنسكي، زعزعة الانطباع عن طفارياغ". وقد روى له محمد بن عبد الوهاب ان عبد الرحمن بن فيصل، والد مؤسس الدولة السعودية القادمة، سلمه بعد زيارة "فارياغ" والتعرف على الروس رسالة إلى القنصل الروسي في بوشهر اوفسيينكو. وقد احتفظ محمد عبد الوهاب بهذه الرسالة ولدى وصلو بوغويافلنسكي سلمه اياها.

ورتب الشيخ محمد لقاء لبوغويافلنسكي مع حاكم البحرين الشيخ عيسى.وأحيط العالم الروسي هنا ايضاً بحفاوة بالغة. وسلمه الشيخ رسالة منه إلى اوفسيينكو. لقد كان يمكن لهذا اللقاء ان يحدث فقط بعد مغادرة هوبكنز للجزيرة، وهو الذي بذل كل ما في وسعه لاجل عرقلة هذا اللقاء. فقد كان هوبكنز يلاحق، بكل معنى الكلمة، أحد التجار البحرانيين بسبب بضعة احاديث اجراها مع بوغويافلنسكي. وقد ابلغ العالم الروسي في رسالته إلى اوفسيينكو عن دسائس الانجليز وعن حسن الضيافة التي خص بها السكان المحليون أول شخص روسي في البحرين. وبعد سفر بوغويافلنسكي اضطر الشيخ محمد لأن "يتخذ موقفاً عدائياً" لا من الانجليز في البحرين وحسب بل ايضاً من الاتراك في القطيف التي كانت جزيرته توجد قبالتها.

ولم يكن أقل حفاوة الاستقبال الذي لقيه بوغويافلنسكي في المحمرة ايضاً. فقد اسكنه الشيخ خزعل في داره، واجرى معه حديثاً ودياً معلناً انه صديق صدوق للروس.وتأكيداً على كلمات خزعل هذه قام سكرتيره باطلاع بوغويافلنسكي على القصر الجديد للشيخ الذي بنى حسب تصميم الروسي سيروميانتيكوف. وبمناسبة الوداع زود خزعل العالم الروسي بحرس حتى حدود الكويت.

في الكويت استقبل بوغويافلنسكي الابن الأكبر للشيخ مبارك، جابر، وفي الحال أرسل في طلب والده الذي لم يكن آنذاك في المدينة. وجاء الشيخ مبارك على الفور ورحب بالعالم الروسي واجرى معه حديثاً مطولاً. وقال له بالحرف الواحد: "انني اعتبر الروس اخواناً لي، واغتبط كثيراً عندما يزورونني، وانا على استعداد دائم لأن اقدم لهم كل ما استطيعه. بلغوا اوفسيينكون الذي اعتبره اخاً لي، سلامي ورغبتي في التراسل معه" (0417، 1، 2512، 14).

كانت توجد لدى بوغويافلنسكي خريطة العالم. وإذ تطرق الشيخ مبارك في حديثه إلى خط سكك حديد بغداد طلب من بوغويافلنسكي ان يريه هذا الخط على الخريطة معلناً لدى ذلك ان الله قد لا يسمح بنزول هذه المصيبة على الكويت. وسأل الشيخ مبارك عن الزمن الذي يمكن ان تستغرقه الرحلة على هذا الخط من القسطنطينية إلى البصرة. لقد كان ذلك مسألة ملحة كان يمكن صياغتها بشكل آخر: كم يوماً يمكن ان يستغرق وصول القوات التركية إلى حدود الكويت في حال نشوب ازمة؟ وإذ طلب اطلاعه على حدود روسيا، وبريطانيا، وفرنسا، اصيب الشيخ مبارك، شأنه شأن محمد عبد الوهاب من قبل، بالدهشة من مدى اتساع اراضي روسيا. واستفسر الشيخ

الكويتي بالتفصيل عن أماكن تواجد السفن الحربية الروسية، وخلال كم يوم تستطيع الوصول إلى الكويت إذا تلقت أوامر من الحكومة الروسية؟ واين يوجد الطراد "فارياغ" وهل لدى روسيا الكثير من امثال هذه السفن؟ ومتى سيجري مد طريق من روسيا إلى بندر عباس؟ مكث بوغويافلنسكي أربعة أيام في الكويت. وعاد الشيخ مبارك إلى المدينة لتوديعه. ورداً على سؤال بوغويافلنسكي عما يستطيع عمله لمجازاته على حسن الضيافة طلب الشيخ مبارك شيئاً واحداً فقط، ابلاغ جلالة الامبراطور انه "صديق للروس ويعتبرهم اخواناً له" (المرجع السابق، ص 14)(35).

وبالحفاوة نفسها استقبل بوغويافلنسكي في مسقط ايضاً في مستهل شهر تموز (يوليو) 1902. وفي رسائله توصل العالم الروسي إلى الاستنتاج بأن "سحر وجاذبية روسيا كدولة جبارة عظيمان جداً" في اعين السكان العرب لساحل الخليج (المرجع السابق، ص16).

لقد كان الوضع السياسي يبرهن على ان وجود سفينة روسية في الخليج أمر ضروري إلى اقصى درجة. وعطفاً على ذلك نوقشت واقرت مسألة بناء سفينة خفر سواحل خاصة للتواجد الدائم في الخليج العربي (المرجع السابق، ص 7.1، 25.20). وفي تشرين الثاني ـ كانون الأول (نوفمبر ـ ديسمبر) 1902 ارسلت إلى الخليج سفينة أخرى من الدرجة الممتازة هي الطراد ذو المداخن الخمس والحديث الطراز "اسكولد" الذي طاقمه يتألف من 580 شخصاً. وقد زار الطراد "اسكولد" مسقط ، وبوشهر، والكويت، وبندر عباس. الا انه لم يتسن الاتفاق مع الفرنسيين، واتجه الطراد الروسي إلى الخليج لوحده (417، 1، 2548، 19.15،24،47.46). وقد زود قبطان "اسكولد"، العقيد البحري رايتسنشتاين، بتعليمات جرى التشديد فيها، أكثر مما في التعليمات المعطاة لـ "غيلياك" و"فارياغ"، على دور الكويت كعنصر مركزي للعلاقات الدولية حول الخليج.

جرى لقاء ضباط "اسكولد" مع سلطان مسقط في جو رائع. فقد استقبل الروس بالترحاب والحفاوة، واثناء الزيارة الجوابية استمع السلطان بغبطة لبعض القطع الموسيقية من اداء جوقة السفينة، وفي غرفة الاستقبال عزف الضباط وانشدوا له بضع اغان، واهدوا السلطان ساعة موسيقية، وطلب ارسال الـ "موسيقى" إليه.

في بوشهر وصل اوفسيينكو إلى السفينة. وجرى تبادل الزيارات مع الحاكم وممثل وزارة الخارجية. وقد اتضح انه من بين البحارة الأجانب، الذين زاروا بوشهر في وقت ما، لم يستقبل ممثل وزارة الخارجية سوى قائدي "فارياغ" و"اسكولد". وكان اهالي مناطق الخليج الساحلية يقدرون قوة السفينة بعدد مداخنها، وروى ممثل وزارة الخارجية للبحارة الروس ان الانجليز روجوا، قبل وصول "اسكولد"،اشاعة تزعم ان لدى الطراد الروسي ثلاث مداخن فقط، وان اثنتين نصبتا خصيصاً قبل زيارة الخليج. وبغية عرقلة شحن الفحم اعترض الانجليز جميع الصنادل، الا ان رايتسنتشتاين نجح في استئجار زوارق صيد لهذه الغاية. المرفأ التالي كان مرفأ الكويت الذي وصله "اسكولد"

مساء واضاءه بمصابيحه الكاشفة. واتسمت بأهمية كبيرة المباحثات التي اجراها مع الشيخ مبارك القنصل الروسي في البصرة اداموف الذي جاء إلى الكويت على متن "اسكولد"(37).

ويحتوي تقرير رايتسنشتاين على عرض مفصل للوضع السياسي حول الكويت، وعلى وصف المرفأ الكويتي والترسانات الوافرة العدد والاسطول الكويتي المؤلف من 100 سفينة ويخت الشيخ الأبيض اللون الشبيه بسفينة شراعية متعددة الصواري من القرون الوسطى. وصعد إلى السفينة الشيخ جابر ونجله أحمد وابنه الصغير. وجرى حديث ودي مع الشيخ مبارك (المرجع السابق، ص 82.78). عندما وصل الطراد "اسكولد" إلى بندر لنغه روج الانجليز اشاعة تزعم بأن داء الكوليرا تفشى في بندر عباس، المحطة الأخيرة لخط سير الطراد. الا انه اتضح لدى الوصول إلى هناك ان الكوليرا غير متفشية في المدينة. واشترك الحاكم العام الإيراني الخليج ميرزا رضا قلى خان سالار معظم في الاحتفالات بعيد قديس القيصر نيقولاي الثاني، وطلب من رايتسنشتاين التوسط له من أجل ارسال ابنه وشقيقه للتعلم في روسيا. ونجح القبطان رايتسنشتاين في الحصول على إذن بهذا الشأن.

احدث الطراد الروسي انطباعاً شديداً في الخليج، وزاره مئات من الأشخاص الذين قدروا عالياً ضيافة وبساطة البحارة الروس اللذين يختلفان كثيراً عن تعالى الانجليز.

تتسم باهمية كبيرة، في رأينا، الوثائق المتعلقة بالزيارة المشتركة التي قام بها إلى الخليج العربي الطراد الروسي "بوياري" والطراد الفرنسي "النفيرنيه" في شباط . آذار (فبراير. مارس) 1903.

لقد سبق للدوليتين الحليفتين ان ناقشتا هذا المشروع في مطلع عام 1902 (417، 1، 2613، 42، 2679، 1، 31). ان تحقيق ذلك لم يكن امراً سهلاً. ففي منطقة الخليج العرب لم يكن يوجد لا اسطول روسي ولا اسطول فرنسي. ولم تتكلل بالنجاح محاولات استخدام السفن،المتجهة من بحر البلطيق إلى الشرق الاقصى، لاجل القيام بهذه الزيارة: فقد كانت السفن الروسية والفرنسية تمر على مقربة من الخليج في اوقات مختلفة. وفي مطلع عام 1903 فقط تسنى تحقيق هذه الخطة. وكانت تدفع الحليفين إلى القيام بذلك الرغبة في عرض وحدة وقدرة الحلف الثنائي امام خصمه الرئيسي في هذه المنقطة . بريطانيا العظمى، وكذلك امام إيران وتركيا والمشايخ العرب للمناطق الساحلية. غير انه كانت تقبع في أساس هذه الرغبة اهداف ومقاصد مختلفة. فبالنسبة لروسيا القيصرية كان الخليج العربي هاماً، بالدرجة الأولى، في سياق سياستها الإيرانية والتناقضات البريطانية الروسية بهذا الشأن، أما في فرنسا فقد كانوا ينظرون إلى هذه الزيارة، بالدرجة الرئيسية، من زاوية النزاع البريطاني الفرنسي على مسقط الذي ثار مجدداً عشية الزيارة. ولعبت المسألة الكويتية ايضاً دوراً هاماً في تحضير التظاهرة الفرنسية الروسية. غير ان مواقع الطرفين هنا كانت مختلفة مبدئياً. فقد وظفت فرنسا رأسمالاً كبيراً في المشروع الالماني لخط سكك حديد بغداد الذي كان يمكن ان يعطى مردوداً،حسبما كانوا يعتقدون آنذاك، فقط في

حال اكتمال الخط في مدينة الكويت. وفي الوضع السياسي لذلك الزمن لم يكن هذا الأمر ممكن التحقيق الا في حال بقاء السلطة التركية في الكويت. وكانت السياسة الفرنسية هنا تصطدم بالسياسة البريطانية التي كانت تسعى لفرض حمايتها على الكويت. اما روسيا فقد كانت خصماً للمشروع. وكانت مصالحها تتجاوب مع استقلال الشيخ مبارك الذي كان يرى في خط بغداد وسيلة لاستعباد الكويت المحتوم والنهائي. وهنا كانت السياسة الروسية تقف في وجه سياسة ألمانيا وفرنسا وسياسة بريطانيا، على السواء. لقد كانت بريطانيا، كما اتضح فيما بعد، توافق على مشروع خط بغداد في حال فرض الاشراف البريطاني التام على القطاع الجنوبي منه المطل على الخليج العربي. وعلاوة على ذلك كان الفرنسيون يتخوفون من اشتداد النفوذ الروسي في الخليج. وتشهد على ذلك وثائق الارشيف التي تحتوي على رفض فرنسا المراوغ الدائم منح السفن الروسية امكانية استخدام مستودع الفحم الفرنسي في مسقط (417، 1، 2613، 33، 41. 43، 58.54، 81). وبين الوثائق المكرسة للزيارة المشتركة للسفينتين الروسية والفرنسية، يتسم باهمية أكبر تقرير المقدم البحري ساريتشيف قبطان "بويارين" الذي سبق له ان زار مرافئ الخليج على متن "غيلياك" واستطاع مقارنة الوضع في عام 1899 وفي عام 1903.

التقى "بويارين" و"انفيرنيه" في جيبوتي واتفقا على خط السير. وفي الوقت عينه دخلت جيبوتي سفينة "تروفور" التابعة للشركة الروسية للملاحة والتجارة، عائدة من الخليج العربي. غير انه لم يتسن لساريتشيف الحصول من قبطان "تروفور" على معلومات تذكر عن الوضع في الخليج لأن سفينة "تروفور" كانت ترفع علم الحجر الصحي.

في 23 شباط (فبراير) 1903 القى الطراد "بويارين" مرساته في مكلأ مسقط. وقام الضباط الروس بزيارة للسلطان فيصل بن تركي الذي احسن وفادتهم وكذلك فعل شقيقه ونجله ولي العهد. ويشير ساريتشيف في تقريره إلى الحالة المتواضعة للقصر ومصاعب السلطان المالية الذي لم يدفع رواتب حراسة الشخصيين منذ أربعة أشهر. ويستحق الاهتمام، بلا شك، السؤال غير المتوقع الذي طرحه السلطان على ساريتشيف: "هل تبيع روسيا السلاح لايران؟"، والذي كان يختفي وراءه فضول غير عادي. وعلى الصخرة المنصبة عند مدخل الخليج كان مكتوباً اسم "بويارين" ايضاً إلى جانب أسماء السفن الأخرى التي زارت مسقط. وبما ان "بويارين" ، الذاهبة لملاقات "انفيرنيه" لم تستطع البقاء طويلاً في مسقط فقد وعد القبطان ساريتشيف السلطان بالتعريج على مسقط في طريق العودة لكي يتمكن السلطان فيصل بن تركي شخصياً من مشاهدة السفينة. في 28 شباط (فبراير) كان الطرادان "بويارين" و"انفيرنيه" يقفان في مكلأ بوشهر، وتبادل القبطانان الزيارات مع المحافظ، وكذلك مع ممثلي القنصليتين الروسية والفرنسية. وصعد رئيس القنصلية الروسية العامة في بوشهر اوفسصيينكو إلى ظهر "بويارين" وشارك في رحلتها التالية.

عندما وصلت السفينة الروسية في 5 اذار (مارس) إلى الكويت جرى استقبالها بحفاوة مميزة. في البدء صعد إلى متنها النجل الثاني لمبارك، صباح، مع ابن عمه أحمد بن جابر. وعلى الشاطئ استقبل الضباط الروس الشيخ مبارك مرتدياً حلة العيد. وتقابل معهم مرتين أثناء الزيارة، ثم قام بزيارة جوابية. ويحتوي تقرير القبطان على وصف مفصل لقاعة استقبال الشيخ مبارك المؤثثة والمزينة "بشيء من الابهة والجلال". ويذكر، من بين ذلك، طاقم أوانٍ من الفضة الخالصة من صنع وارسو، ومعطف فرو هدية من تجار روس كانوا يمارسون التجارة بفراء الحملان بشروط متهاودة للغاية تحت رعاية الشيخ مبارك.

كما قام الضباط الروس بزيارتين لعبد العزيز بن سعود الذي وصل مؤخراً من الرياض. فأحسن وفادتهم وقام، بمعية شقيقية محمد بن سعود وسعد بن سعود، بزيارة جوابية للسفينة. ويحتوي تقرير القبطان على وصف مفصل للاحتفالات التي اقيمت في الكويت، قبيل وصول "بويارين" و"انفيرنيه"، بمناسبة انتصار عبد العزيز على ابن رشيد قرب مدينة الرياض. وفي الاحاديث التي اجراها الضباط الروس مع السلطانين كان هذان يشكوان من المساعدة السرية التي يقدمها الاتراك إلى الرشيديين. واكد عبد العزيز على انه، ما دامت الجزيرة العربية موجودة في ايدي مشايخ اقوياء، فلا يمكن ان يدور الحديث عن أي خط سكك حديد حتى الكويت أو حتى مرفأ الجهرة الذي يضاهيها تقريباً. وشدد الشيخ مبارك مجدداً على موقفه الرافض لخطط البريطانية لمد طريق من بورسعيد إلى الكويت أجاب بطريقة دبلوماسية بقوله لو كان ذلك مشروعاً مشتركاً لروسيا. وبريطانيا وفرنسا لكان وافق عليه.

ويتضمن تقرير القبطان ساريتشيف، من جملة ما يتضمنه، تفصيلات دراماتيكية عن الهزيمة التي مني بها الشيخ مبارك قرب واحة الصريف. فقد وصل ابن رشيد حتى الجهرة ونهب دار مبارك، وسبى زوجته، واقام خيمة في فناء داره وشرب فيها القهوة. واضطر الشيخ مبارك الجريح للفرار من ساحة المعركة متخفياً في زي متسول، وبعدما وصل إلى داره في الكويت، كان يتوقع اسوأ الأمور. ولكن تبين ان نفوذه ما يزال قوياً جداً كالسابق، وحتى ان هذه الحالة زادت من سلطته. واتى إلى مبارك وفد من وجهاء المدينة الذين ابلغوه بكل صراحة انهم سيبذولون كل غال ورخيص لكي يبقى حاكماً عليهم ويواصل الحرب. وفي يوم مغادرة الطرادين كان عبد العزيز يزمع القيام بحملة بعد ان تلقى تعزيزات (1400 محارب) ومؤونة من الشيخ مبارك (38).

يتضمن تقرير القبطان ساريتشيف وصفاً رائعاً لمدينة الكويت وضواحيها، ووصفاً مفصلاً للخندق الدفاعي نصف الدائرة المحيط بالمدينة.

من الكويت اتجه الطرادان إلى بندر لنغه، ومن ثم إلى بندر عباس، وينوه القبطان ساريتشيف بأنه كان يوجد في بندر عباس عدد كبير من التجار الهندوس نصراء النفوذ البريطاني. وحتى انهم كان لهم في بندر عباس هيكل عيادة خاص بهم. وكان قلق الانجليز من ازدياد النفوذ

الروسي يظهر هنا ايضاً. فقبل يوم من وصول "بويارين" إلى بندر عباس وصلت إلى هنا سفينة "سفينيكس" البريطانية التي حاول قبطانها ان يستفسر من الشيخ الذي كان يملك الجزيرة، "عما إذا كانت روسيا قد اشترت فعلاً مضيق هرمز".

ومن ثم عادت "بويارين" مجدداً إلى مسقط، وزارها السلطان فيصل بن تركي. وبذلك نائب القنصل الفرنسي اقصى الجهود لكي يحضر محادثة القبطان ساريتشيف مع فيصل بن تركي، واصيب بخيبة أمل شديدة عندما لم يتسن له ذلك. وتشهد جهوده على ان الفرنسيين، شأنهم شأن الانجليز، كانوا يتخوفون من اشتداد النفوذ الروسي في الخليج. واقترح شقيق السلطان على البحارة الروس اقناع فيصل بانشاء مستودع روسي للفحم في مسقط. وريثما كان السلطان على متن "بويارين" كان الطراد البريطاني "بارساي" يتمخطر مهدداً امام مدخل المرفأ مسدداً المدافع والتدريبات الحربية بصورة استعراضية. وبعد زمن قصير غادرت السفينتان الروسية والفرنسية مياه الخليج. هكذا انتهت آخر زيارة لسفينة حربية روسية إلى هنا.

واستنتج القبطان ساريتشيف في تقريره ان نفوذ روسيا في هذه المنطقة ازداد كثيراً من زمن زيارة السفينة "غلياك" للخليج. وكتب يقول ان السكان المحليين وجهوا إلى عميد القنصلية الروسية في بوشهر اوفسيينكو طلبات للنظر في الخلافات التجارية والشكاوى.

ان وثائق ارشيف الدولة المركزي للاسطول البحري الحربي، المنشورة في هذا الكتاب، تتضمن مواد شيقة وفريدة في نوعها في أمور كثيرة عن هذه الفترة القصيرة، ولكن الهامة، للعلاقات بين روسيا والعرب(39). فإن تطابق اتجاه السياسة الروسية مع مصالح واماني شعوب الخليج، التي كانت تكافح في سبيل استقلالها، بالاضافة إلى حب المعاشرة والبساطة لدى البحارة الروس، ان ذلك كله كان يساعد على نمو التعاطف المتبادل ونفوذ روسيا في المنطقة.

فالحكام العرب للمناطق الساحلية، الذين كانوا يعولون بمساعدة بريطانيا على التحرر من التبعية التركية او الايرانية، سرعان ما اقتنعوا بأن المساعدة البريطانية تستحيل بالنسبة لهم إلى تبعية اشد قساوة بكثير من التبعية التركية أو الإيرانية. فإن ظهور سفن روسية، وتنشط السياسة الروسية في منطقة الخليج، وفتح ممثليات قنصلية، وذعر الانجليز الجلي، ان ذلك كله اظهر للعرب انه يمكن لروسيا ان تكون حليفاً قوياً لهم في الكفاح ضد تركيا العثمانية وضد بريطانيا على السواء. لقد كانت آمال العرب آنذاك موجهة صوب الشمال، صوب الحدود الروسية، وسرعان ما كانوا يستفيدون من اتصالاتهم مع الروس في نضالهم الدبلوماسي ضد الانجليز.

والموقف الودي من الروس، الذي تعود جذوره إلى تلك الحقبة بالذات، تجلى هنا مجدداً بعد مرور أربعين عاماً، في عام1942، عندما أخذ يعمل عبر مرافئ الخليج الطريق الجنوبي لايصال المواد إلى الاتحاد السوفييتي من الولايات المتحدة الاميركية أثناء الحرب العالمية الثانية.

كما ان العلاقات الودية العريقة بين الاتحاد السوفييتي والكويت انما ترجع في اكثريتها إلى الاحداث المكرسة لها الوثائق المنشورة في هذا الكتاب.

ملاحظات

1 . بصدد منابع هذه التناقضات راجعوا: تومانوفيتش. الدول الأوروبية في الخليج العربي في القرون 16 . 19، موسكو 1982، برودیانسكي. شرق الجزيرة العربية. موسكو، 1986، ص 58.9، بصدد المواد عن هذه الفترة راجعوا: التنافس البريطاني الروسي في إيران أعوام 1890. 1906 . الارشيف الأحمر، الجزء الأول (1956)، 1933، بونداريفسكي. خط بغداد وتغلغل الامبريالية الالمانية إلى الشرق الأوسط. طشقند، 1955، لنفس المؤلف: السياسة البريطانية والشرق الأوسط في سياسية فرنسا الخارجية (أعوام 1914.1898). نبذات من تاريخ صراع فرنسا الدبلوماسي في سبيل الشرق الأوسط. كييف، 1964، ص 126.23.

2 . لم تستخدم مواد ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي بصورة كافية حتى الآن في المطبوعات السوفييتية. ففي الاطلس البحري الاساسي (لينينغراد، 1958) اشير إلى دخول سفينتين فقط إلى الخليج العربي هما "فارياغ" و"اسكولد"، وذكرت مواعيد متباينة لأول زيارة لسفينة تجارية روسية إلى الخليج العربي، مثلاً، في عام 1906. سيلوتينا: الشركة الروسية للملاحة والتجارة تبلغ عامها الـ 120. مجلة الاسطول البحري، العدد 8، 1976، ص21.

3 . ان كل ذكر للمرفأ في تقرير قبطان السفينة الروسية يصاحبه، عملياً، وصف كهذا. واستناداً إلى هذه التقارير تم وضع وصف مرافئ الخليج العربي، المحفوظ في الارشيف (417، 1، 3907، 13.4).كما يتضمن الارشيف "معاينات الارصاد الجوية التي اجريت على متن السفينة "غيلياك" في الخليج العربي عام 1900" من وضع باخيريف (417، 1، 2037، 333.326).

4 . كراتشكوفسكايا وكراتشكوفسكي. في لبنان وفلسطين. قواعد الملاحة المشتركة، الطبعة الأولى (63)، 1954، ص 124.

5 . يليسييف. في رحاب العالم. سان بطرسبورغ، المجلد الرابع، 1898، ص236.2345.

6 . بيرغ. رحلة إلى مصر. مجلة "مذكرات وطنية"، 1862،تشرين الثاني (نوفمبر)، ص 326.

8 . تقرير نقيب دافليتشين عن المأمورية إلى الحجاز، سان بطرسبورغ، 1899، ص118.

9 . سيرومياتنيكوف، مذكرات عن الخليج العربي. سان بطرسبورغ، 1907، ص 22. 23.

10 . لوتسكي. التاريخ الجديد للبلدان العربية. موسكو، 1965، ص 310، بونداريفسكي. السياسة البريطانية، ص 166.165.

Wilson. The persian Gulf, Oxford, 1928, p. 238. .11

the Times of India, 8, 1898. . 12

13 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "القسم الإيراني"، اضبارة رقم 4063، ص 3.2. بلاغ اغريروبولو إلى وزارة الشؤون الخارجية بتاريخ 1899/5/4، رقم 18.

14 . المرجع السابق، ص 24. رسالة لامزدورف إلى تيرتيوف بتاريخ 1899/11/5، رقم 623.

15 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "السفارة في القسطنطينية"، اضبارة رقم 1244، ص 40.39، تقرير عن مأمورية القنصل كروغلوف في بغداد.

16 . المرجع السابق، ص 38.37.

17. المرجع السابق، ص41.40.

18. المرجع السابق، ص 45.

19. المرجع السابق، ص 53.52.

20. المرجع السابق، ص 56.55.

21. Wratslaw A. C. A. Consul in the East, L., 1924, p. 169.

22 بونداريفسكي. السياسة البريطانية، ص 323، 348، 355.354، 369، 389، للمؤلف نفسه: (Bondarevskij o.I.).

Russia and kuwait in the early xxth century, M., 1967
(paper XXV11 intern cong. Of orientalists).

23. Mehran- Koblenz, Der diplomatishe Krieg in Vonderasien.

24 . ارشيف الدولة التاريخي المركزي للاتحاد السوفييتي. الملف 22، القائمة 2، الاضبارة 2320، الصفحة 2.1. "استعلامات عن المشاركين في البعثة السرية إلى مرافئ الخليج". في مواد ارشيف الدولة المركزية للاسطول البحري الحربي يوجد مقطع من "أخبار جمعية المتحمسين للمعارف العسكرية" 0رقم 48 بتاريخ 1908/1/15. سان بطرسبورغ، ص 293. راجعوا 417، 1، 2512، 8.7)، يحتوي على عرض لتقرير العضو المتحمس لهذه الجمعية سيرومياتنيكوف "الاهمية العالمية للخليج العربي والكويت" القى في 23 تشرين الثاني (نوفمبر) 1907.

25 . سيرومياتنيكوف. مذكرات، ص 24.

26 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "السفارة في القسطنطينية"، الاضبارة 1245، ص 102.الرحلة التجريبية لسفينة الشركة الروسية "كورنيلوف" إلى البصرة، بلاغ اوفسيينكو.

27. المرجع السابق، ص 120.119.

28. اداموف. العراق العربي. سان بطرسبوغ، 118، ص 519.

29 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "السفارة في القسطنطينية بتاريخ 10/ 10/ 1902، رقم 207.

30 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "الارشيف السياسي"، الاضبارة 354، ص 92.91.نسخة بلاغ كروغلوف في القسطنطينية 354، ص 92.91. نسخة بلاغ كروغلوف في القسطنطينية بتاريخ 1901/11/10، رقم 461.

31 . . Documents diplomatiques francais. Ser. 11, V.1` N255.

32 . للمزيد من التفصيل حول هذه الرحلة راجعوا: ميلنيكوف.الطراد "فارياغ". لينينغراد، 1983،ص 115.108.

33 . بصدد الفترة الأولى من نشاط هاتين الممثليتين راجعوا: شيلكونيكوف. قوات ومنطقة دائرة الفيلق التركي السادس. تقرير عن البعثة إلى بلاد ما بين النهرين في عامي 1902 . 1903، المجلد الأول، الجزءان الأول والثالث. تفليس، 1904،ص 82.80. وصل شيلكوفنيكوف إلى الخليج على ظهر الطراد "اسكولد".

34 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "الارشيف السياسي". الاضبارة 365، ص 16.15. بلاغ اوفسيينكو في طهران بتاريخ 1902/1/11. رقم 9.

35 . ان ذلك كله يدل على ان مبارك واصل سياسة طلب العون من روسيا ضد بريطانيا بعد أيار (مايو) 1901 ايضاً. (راجعوا:بونداريفسكي).

36 . ترك شيلكوفنيكوف تقريراً مثيراً للاهتمام عن مأموريته يستحق الاهتمام الشديد من جانب المؤرخين. راجعوا: شيلكوفنيكوف. قوات...

37 . ارشيف سياسة روسيا الخارجية. ملف "السفارة في القسطنطينية". الاضبارة 1266، ص 16.3. بلاغ اداموف إلى وزارة الخارجية بتاريخ 1/8/ 1903. رقم 19.

38. راجعوا، مثلاً: فاسيلييف. تاريخ العربية السعودية. موسكو، 1982، ص236.

39 . يتضمن الارشيف ايضاً عدداً من الوثائق المتأخرة إلى أعدتها دائرة الخارجية لوزارة البحرية. تمس هذه الوثائق الوضع في منطقة الخليج ومشروع خط سكك حديد بغداد (418، 1، 3907، 3908).

40 . راجعوا: زورين. مهمة خاصة. موسكو، 1987.

وثائق ارشيف الدولة المركزية

للاسطول البحري الحربي

من تقرير قائد سفينة خفر السواحل "غيلياك" المقدم البحري

اندرينيوس (عن زيارة موانئ الخليج العربي).

الملف رقم 417، القائمة 1، الاضبارة رقم 2037، ص 228. 238، 242. 260. يطبع طبقاً للمخطوطة الاصلية المصادق عليها

ينشر لأول مرة

(ص228)... وصلت بندر عباس في الثاني من شهر شباط (فبراير)، الساعة الثالثة بعد الظهر، والقيت المرساة على عمق 25 قدماً، على مسافة ميلين من الشاطئ بعد ان قطعت 1450 ميلاً في غضون 170 ساعة بسرعة متوسطة قدرها 8.5 عقد.

في المكلأ ادركت الطراد البريطاني POMONE[1] الذي وصل إلى هنا البارحة من بوشهر.

في اليوم نفسه، وبعد ان عملت من طبيب الوقاية الصحية (وهو من الهندوس، على ما يبدو، وذو تحصيل طبي ناقص) الذي صعد إلى السفينة،انه لا توجد في المدينة امراض وبائية، نزلت مع اثنين من ضباط السفينة إلى الشاطئ لزيارة المحافظ. لدى اقترابي من الشاطئ صادفت المحافظ المسافر على قارب في القيام بزيارة لي وللقائد البريطاني. (ص228 ظهر) وتركت للمحافظ ان يقرر ما إذا كان يريد السفر إلى السفينة أم استقبالي في البدء. فاختار الأمر الأخير وعاد ادراجه إلى الشاطئ. وابلغت المحافظ انني اتيت إلى هنا بناء على أوامر حكومتي لاجل القيام بزيارة مجاملة (TO PAY CURTEONS VISIT)، وبما ان احتياط الوقود للسفينة المؤتمن عليها لا يكفي للتطواف بموانئ الخليج العربي فسوف تصل إلى هنا قريباً سفينة محملة بالفحم سآخذ منها قسماً من الفحم إلى سفينتي، اما القسم الباقي فارجو السماح بوضعه على الشاطئ حتى العودة من بوشهر والبصرة. جواباً على بياني هذا أعلن المحافظ (أعتقد انه بسيط للغاية وغير متعل) انه مسرور جداً، وانه نظراً للعلاقات الودية بين الحكومتين الروسية والايرانية يعتبر نفسه ملزماً بتقديم كل عون لي. بهذا عدت ادراجي إلى السفينة واصدرت امراً باستئجار عمال وصنادل (مراكب شراعية محلية بصاريتين تتسع لحوالي 10 اطنان). 0ص 229) جرى الحديث مع المحافظ بواسطة مترجم ارمنييشتغل عميلاً لشركة الملاحة الإيرانية (البريطانية) التي تتعاطى سفنها نقل الحمولات بين مرافئ الخليج العربي.

وجواباً على سؤالي حول التحية المدفعية أعلن المحافظ انه إذا ادينا نحن التحية فسوف يرد عليها لانه توجد لديه بطارية مدفعية. بعد ذلك شاهدت فعلاً بطارية من أربعة مدافع ضخمة عتيقة على عربات، من عيار 4 بوصات تقريباً. لدى عودتي إلى السفينة اديت تحية الأمم من 21 طلقة وردت البطارية الإيرانية بالعدد نفسه من الطلقات، ولكن الفواصل الزمنية بين الطلقات كانت أطول من المعتاد.

في اليوم التالي تبادلت الزيارات مع قائد الطراد "POMONE" الذي اتفقت معه على ان يرسل قاربه، في الساعة الثالثة بعد الظهر، في طلب المحافظ، وان ينقل القارب المحافظ إلى السفينة من الطراد البريطاني ويوصله من ثم إلى الشاطئ، المحافظ[2] إلى السفينة ابلغته انني استأجرت

---

[1] ملاحظة من الناشر: في وثائق الارشيف وردت بعض الاسماء والتسميات العربية والاجنبية باللغتين الانجليزية والفرنسية، لذلك سنحافظ عليها بهاتين اللغتين كما وردت في النص الاصلي.

[2] كانت ترافق المحافظ حاشية تتألف من موظفين اثنين وملا ثلاثة حراس شخصيين مسلحين ببنادق صيد.

صنادل واشخاصاً ضروريين لاجل تفريغ السفينة، ولكن بما ان التاجر (وهو إيراني)، الذي تمت عملية الاستئجار بواسطته، يطلب اذنا خطياً من المحافظ لاجل عملية تفريغ السفينة، فانني ارجوه ان يعطيني اذنا كهذا. فاجابني المحافظ بأنه لا يستطيع فعل ذلك بدون إذن الحاكم العام في بوشهر، واقترح عليّ السفر إلى جاسك وارسال برقية إلى الحاكم العام لأن بعث رسالة إلى بوشهر بالبريد من شأنه ان يستغرق حوالي 15 يوماً. لم استطع القيام بذلك، مع الاسف، لأنه بقي في السفينة 20 طناً فقط من الفحكم لا تكفي لاجتياز 260 ميلاً، بالاضافة إلى ان الرسو في جاسك أمر ممكن فقط في حال وجود طقس هادئ تماماً لأن الميناء مكشوف تماماً، ولذا فقد كان من الضروري امتلاك احتياطي اضافي من الفحم لاجل البقاء في البحر إذا اقتضى الأمر (ص230) واخيراً، لكنا اضطررنا لانتظار جواب الحاكم العام هناك الذي كان يتطلب، على الارجح، انتظار يوم أو يومين، وبالتالي، لكان لزم لذلك، في أحوال جوية ملائمة، حتى أربعة أيام كان بإمكان المركب المحمل بالفحم، خلال هذه الايام، ان يصل، وإذ لا يصادف السفينة في غضون يومين . ثلاثة في بندر عباس ان يغادر المرفأ دون ان ينتظر عودتي.

استناداً إلى هذه الاعتبارات قررت محاولة اقناع المحافظ مبرهناً له انني جلبت معي فحمي لأن الفحم غير معروض للبيع، وان احداً من مستخدمي السفينة لن يشترك في نقل الفحم إلى الشاطئ، بل سيفعل ذلك تاجره هو، الإيراني، الذي سينقله لي فيما بعد كما لو انه يزودني به ايضاً، كما يجلب إلى السفينة الاطعمة وما إلى ذلك. فاجاب المحافظ، وكأنه موافق على حججي، أجاب مع ذلك انه لا يستطيع اعطاء إذن لانه رفض لتوه، بسبب عدم وجود تعليمات لديه من الحاكم العام، طلباً من القائد البريطاني باسكان نائب القنصل البريطاني في بندر عباس وبرفع علم القنصلية البريطانية على مبناه. (ص230 ظهر) فاعترضت على ذلك بقولي ثمة ثمة فرقاً هائلاً بين طلبي وطلب قائد الطراد "POMONE" . فطلب هذا الأخير يرتدي طابعاً سياسياً بحتاً تبت فيه، عادة، السلطة العليا في البلد. واستمرت المفاوضات ردحاً آخر من الزمن، وفي النهاية وافق المحافظ على تقديم 4 صنادل بحيث لا يجري تفريغ شيء إلى الساحل، معلناً انه سيستأجر بنفسه الصنادل والاشخاص.

علاوة على ذلك خيل لي انني لن أدرك غايتي، فوافقت وقررت تحميل السفينة قدر ما تستطيع وملء العنبر كله وجزء من السطح العلوي وتعبئة أربعة صنادل أخرى إلى الحد الأقصى الممكن (60 طناً) وتسليمها للمحافظ على ان يحتفظ بها حتى عودتي عندما ساجلب له اذنا من الحاكم العام بأن يعيد لي الفحم المتبقي، (ص 231) وعلى هذا النحو اعددت نفسي لأن أكون قادراً على أخذ كل أو تقريباً كل الـ 300 طن من المركب وان تتاح لي فرصة تنفيذ المهمة الموكلة إلي ، مهمة الطواف بموانئ الخليج العربي.

في اليوم التالي المصادف 4 شباط (فبراير)، الساعة الثالثة بعد الظهر، اطل مركب "Waddon" فارسلت في طلب الأشخاص والصنادل، ولكن بدلاً من الصنادل الأربعة التي وعدني بها أرسل المحافظ صندلاً صغيراً بالكاد يتسع لعشرة اطنان. ومن جديد بدأت مفاوضات لا نهاية لها، وعند صباح الخامس من شباط فقد تسنى لي التوصل إلى الحصول على صندلين آخرين سعة كل واحد منهما 12 . 15 طناً، ولكن بعد ان اعطيت شهادة خطية بالا يجري تفريغ أي شيء إلى الشاطئ. ولدى ذلك، وخوفاً من انني لن استطيع ان ابقي شيئاً في الصنادل بعد أخذ كل الاحتياطي إلى السفينة، أرسل المحافظ موظفيه إلى المركب تحت ذريعة الاشراف على التحميل بنجاح، ولكنهم في واقع الأمر لم ينزلوا الصندل الثالث من المركب الا بعد ان اعيد أحد الصنادل السابقة فارغاً من السفينة. (ص 231 ظهر) وإذ ظننت بأنه توجد هنا اتاوات ما على الحمولات سألت المحافظ عما إذا كان من الضروري دفع ضرائب تجارية أو جمركية ما، فانني مستعد لدفعها. ولكن المحافظ أجاب بأنه ليست ثمة ضرورة لذلك. ولم يكن في وسعي تقديم لنش السفينة للمساعدة في نقل الفحم لأن هذا اللنش كان يحسب الصنادل بين السفينة والمركب. اما القارب البخاري فلم يكن صالحاً للاستعمال في ذلك نظراً لضعف تصميمه: فلو استعمل في السحب مرتين . ثلاثة لأصيب بالعطل التام، واخيراً، فقد كان في هذه الأثناء يسحب من الشاطئ إلى السفينة الزورق بصهريجنا المائي الذي كان ينقل الينا المياه العذبة لاجل المراجل.

بالمناسبة اسمح لنفسي بأن ابلغ سمكوكم الامبراطوري (1) عن النقص الشديد في تزويد السفينة بالمياه العذبة: فإن المصروف اليومي من المياه العذبة لاجل المراجل أثناء عمل الآلات هو 5 اطنان، اما جهاز التحلية فلا يعطي سوى 3 . 3.5 اطنان، بينما يعمل الجهاز الآخر على تحلية مياه الشفة إذ يعطي طناً واحداً فقط في اليوم، أي 85 سطلاً لـ 170 شخصاً من الضباط والطاقم. (ص 232) وبعد كل ثلاثة . أربعة أيام من العمل يتطلب جهاز التحلية تفكيكه لتنظيفه من الملح، الأمر الذي يستغرق حوالي يومين. ولي الشرف بأن ارفع لجلالتكم تقريراً مفصلا عن عمل جهاز التحلية، مرفقاً بمعلومات عن نواقص أخرى وتغيرات مرغوب فيها في السفينة.

ان احضار المياه هنا من الشاطئ أمر صعب للغاية، فالصهريج يتسع لثلاثة اطنان فقط، والقارب لا يستطيع الاقتراب من الشاطئ الا لمسافة 1.5 . 2 طول كبلى[1]، ويجلب المياه إلى القارب في قرب أشخاص تغمرهم مياه البحر حتى الزنار.

عند مساء السادس من شباط (فبراير) ملئت الحفرات بالفحم، علماً بأنه أخذ من المركب 157 طناً فقط وقررت تحميل السطح العلوي قدر ما يستطيع إذ خصصته كله تقريباً لاجل ذلك.

[1] الطول الكبلى الواحد يساوي 185.2 متراً. الناشر.

وبسبب هذا اضطررنا لاغلاق كوة القبطان كلياً ونزع سلالم الخروج. وعلى هذا النحو كنت اعول على تحميل حتى 80 طناً أخرى من الفحم، وهذا ما تحقق بالفعل.
(ص32 ظهر) أكيد ان الملاحة في عرض البحر مع هذا الحمل الثقيل على السطح العلوي كان أمراً محفوفاً بالمجازفة، ولكنني كنت في هذه الحالة استرشد باعتبارات مراعاة مصلحة الخزينة أكثر ما يمكن، ،انه بالاضافة إلى ذلك، في طريق الانتقال إلى بوشهر، ستتاح لي في حال هبوب الريح امكانية الاختباء وراء الكثير من الرؤوس البرية والجزر، واخيراً، في حال الضرورة القصوى يمكنني رمي جزء من الفحم في البحر.
في 7 شباط صباحاً، عندما أصبحت حمولة السفينة 40 طناً من الفحم، قررت ان اجرب مرة أخرى اقناع المحافظ بأن يسمح لي بترك 60 . 70 طناً في الصنادل، وارسلت إليه ضابطاً مع رسالة طلبت فيها اعطائي جواباً خطياً حتى الساعة الرابعة مساء. في الساعة الرابعة تلقيت فعلاً جواباً ورد فيه انه (المحافظ) مضطر، بصرف النظر عن كل رغبته، لرفض ذلك حيث انه لا توجد لديه أية أوامر من جانب حكومته(2).
في هذا الوقت كان قد انتهى تحميل الفحم الذي استمر ليلاً ونهاراً في غضون ثلاثة أيام، علماً بأن طاقم السفينة كله عمل بدون توقف بالاضافة إلى العرب. (ص 235)[1] فقد عبئ 157 طناً في حفرات الفحم و 57 طناً في السطح الباقي، أي ما مجموعه 265 طناً، علماً بأن غاطس مقدمة السفينة هبط إلى 12 قدماً وبوصتين. وبقي في الصندلين 15 طناً والارجح ان 20 طناً في الفحم كان متناثراً، وهذا أمر محتمل تماماً لأن الملأ مكشوف تماماً من SO SW[2] وان تموج البحر لا يهدأ تقريباً. اما تلك الاطنان الـ 15، التي بقيت في الصنادل، فلم اجازف بتحميلها علىالسفينة، لانه قد أصبح لدي بدون ذلك 108 اطنان على السطح العلوي، ولذا قررت تركها.
كانت السفينة، المحملة بهذا القدر، هيئة فظيعة من جهة النظافة، فكل شيء بالتحديد، من الخارج وفي الداخل على السواء، كان مطموراً بالفحم، علماً بأن ذلك كان بارزاً للعيان بوجه خاص لانه، لدى الخروج من مرفأ بيريه وإذ اخذت في الحسبان ان سفن اسطول المحيط الهادئ مطلية باللون الابيض، بدأت بتحضير السفينة لهذا اللون واثناء الرسو في عدن دهنتها باللون الأبيض ثلاث مرات. (ص 235 ظهر) وهنا ايضاً، أثناء تحميل الفحم ابان تموج مياه البحر وبواسطة مراكب شراعية محلية بصاريتين غير مكيفة لذلك، تضرر كثيراً دهان جانب السفينة، ولن يكون ممكناً اعادة طليه الا لدى بلوغ البصرة عندما نكون قد استهلكنا قسماً كبيراً من الفحم الجاثم على السطح العلوي.

[1] هكذا ورد في النص الاصلي (خلل في ترقيم الصفحات).
[2] الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. الناشر.

إذا اخذنا في الحسبان انه يوجد في السفينة، بالاضافة إلى العشرين طناً من الفحم الباقية لدى الانتقال من عدن، 285 طناً فإن السفينة تملك احتياطاً من الفحم يكفي لـ 12 يوماً ونيف وباستطاعتها لدى وجود أحوال جوية ملائمة الانتقال من مسافة 2100 ميل إلى مسافة 2200 ميل، وعليه، فحتى إذا لم ينوجد الفحم في البصرة فإن السفينة تستطيع الوصول إلى هناك وسوف يكفي الفحم حتى كراتشي (1805 أميال) مع التعريج على لنغه.
لقد اضطرتني ظروف استثنائية للمجازفة في ان احمل السفينة 108 اطنان، وهو بلا شك حمل كبي إذا ما اخذنا في الحسبان ذلك التأرجح الذي قد عانت منه السفينة لدى دخولها المكلأ اثنان تموج المياه وهبوب ريح ضعيفة، ولكن يمكن تحميل السفينة 40 . 50 طناً بدون مجازفة، خاصة وانه سيجري استهلاكها في اليومين الاولين مباشرة. (ص 236) ولاجل تأمين ثبات السفينة ملأت بالمياه جميع اقسام الصوابير وفجوات القاع.
في هذا اليوم، المصادف 8 شباط، اضطررنا للوقوف يوماً آخر لاجل تسلم المياه الذي انتهى في الساعة السادسة، مساء، وبعد ذلك سأبحر متجهاً نحو بوشهر.
علمت من الضابط، الذي جاء إلى هنا في اليوم الأول لوصولي حاملاً تحية من قائد الطراد البريطاني "pomone"، ان هذا الطراد يوجد منذ خمسة أشهر في الخليج العربي، وانه أتى إلى بندر عباس بمناسبة مجيء نائب القنصل البريطاني إلى هنا عما قريب. اما قائد الطراد، الذي رايته في اليوم التالي، فلم يقل لي شيئاً عن هدف مجيئه إلى هنا. (ص 236 ظهر) وفي صباح 4 شباط وصلت إلى المكلأ السفينة البريطانية "Pigeon"، وهي ايضاً دائمة التواجد في الخليج العربي، ومن جملة ما ابلغني الضابط، الذي صعد إلى سفينتي لتقديم الشكر على التحية، انهم اتوا إلى هنا لكي يدبروا مكان اقامة لاجل نائب القنصل المنتظر وصوله إلى هنا .(3)
في مساء اليوم نفسه اقامت قيادة الطراد 'Pomone' حفلة موسيقية على متنه اشترك فيها ضباط الطراد (Amoking concert)، دعي إليها ضباط السفينة الموكلة الي وانا. وابلغني قائد السفينة 'Pigeon' انه سيحل ضيفاً علي في صباح اليوم التالي، وانه سيسافر بعد الغداء إلى جاسك. وبعد مرور نصف ساعة على ذلك رجوته ان يأخذ مني برقية ويرسلها من جاسك إلى سان بطرسبورغ. في البدء اشار إلى مصاعب تقدير ثمن البرقية، وقال من ثم انه لم يقدر بعد ما إذا كان سيذهب إلى جاسك أم لا، ولكن إذا قرر الذهاب فسوف يعلمني بذلك. وعلى هذا غادرت "Pomone' عند حوالي الساعة 11 مساء.
في الساعة الثانية ليلاً اتانا قارب من "Pomone" ليبلغنا ان "Pomone' سترفع المرساة في الحال وتتجه إلى جاسك، وبما ان البرقية لم تكن جاهزة بعد، واستناداً إلى حديثي السابق مع قائد "Pigeon'، استطعت ان استنتج انه لا يرغب في أخذ برقيتي، لذلك رفضت خدماته. (ص

237) وعلى كل حال فلم اكن لأفلح في تحضير البرقية لأن السفينة سرعان ما اقلعت. وفي الليلة التالية، في 5 على 6 شباط، دخلت المكلأ سفينة بريطانية ثالثة ولكنها لم تتوف سوى حوالي نصف ساعة، وابحرت مجدداً.

تقع مدينة بندر عباس على شاطئ رملي خفيف الانحدار ترتفع وراءه، في بعض اقسامه، جبال شديدة العلو (حتى 8000 قدم) يتألف السكان، الذين يصل عددهم إلى 7.6 الالف، من العرب اساساً، ثم يأتي الهندوس والايرانيون، وعدد الاخيرين بضع مئات فقط.

كان أبناء هذه الاقوام الثلاثة يأتون يومياً لمشاهدة السفينة، علماً بأن عددهم كان يصل إلى 100 شخص في اليوم. (ص 237 ظهر) ومن الاوروبيين يوجد هنا شقيقان ارمن فقط: واحد عميل لشركة الملاحة الهندية (Indian Steam Ship Company) التي تتعاطى سفنها عمليات النقل العاجل للبريد والركاب بين بومباي والبصرة والموانئ الواقعة بينهما، والشقيق الآخر عميل لشركة ملاحة الخليج العربي (Persian Steam Ship Company) التي تنقل سفنها الحمولات بين موانئ الخليج المذكور وبومباي. وأحد هذين الشقيقين، اللذين يجيدان التكلم بالانجليزية، يعمل اضافة إلى ذلك مترجماً لدى المحافظ (يوجد لدى السفن البريطانية مترجمون دائمون من الهندوس).

ان الهيئة الخارجية للمدينة تعطي انطباعاً بأنها مدينة فقيرة جداً: بيوت واطئة في هيئة علب مربعة مبنية او، والاصح القول، مركبة من حجر وطين، ومخازن أو دكاكين دفعة واحدة. (ص 238) اللحم لا يستهلكه السكان اطلاقاً، وكان يمكن الحصول عليه فقط في حال شراء ثور بكامله، علماً بأن الثور المذبوح كانوا ينقلونه كما هو إلى السفينة حيث يزنونه ويقطعونه ويحددون ثمن الرطل، الخضار من شتى الانواع، ما عدا الملفوف، توجد في وفرة، اللحم والخضار، على السواء، كانا من النوعية الجيدة، والخبز المخبوز بالطريقة المحلية سيئ النوعية، ولا وجود للماء الزلال على الاطلاق بل انه يسيل أثناء الامطار الخريفية والشتوية من الجبال ويتجمع في حفرات ضخمة أو برك. وكنا نجلب هذا الماء إلى السفينة لاجل المراجل فقط.

المواد الرئيسية لتجارة بندر عباس هي استيراد السلع من المستعمرات والسلع المانيفاتورية، وهم يصدرون القطن والتمر والخضار والصوف والحرير والجلود والخيول، وغيرها. ويتعاطون التجارة، على الغالب، مع الهند وموانئ الخليج العربي، ومع أوروبا بدرجة أقل بكثير.

ينبغي اعتبار مكلأ بندر عباس غير مريح البتة، (ص 238 ظهر) اولا، ان مياهه الضحلة تمتد الى مكان بعيد عن الشاطئ، فقد القت السفينة مرساتها على عمق 25 قدماً (في ماء شحيح) وكانت المسافة حتى الشاطئ 17 ميالاً، ثانياً، من S وSO المكلأ مكشوف تماماً بحيث إذا هبت ريح خفيفة يظهر من هذين الاتجاهين تموج شديد يدخل المكلأ بسبب جزيرتي كشم ولارك. القاع جيد جداً. (.........).

(ص ص242).. في الساعة السادسة صباحاً بلغت قوة الريح حتى 7 عقد، ولذا السبب عرجت على جون عند مدينة دايرة. هنا بدأت ارسو خلف مكان قليل الغور يدعى Ras al MUTAF على أمل ان تهدأ الريح بعد الظهر، ولكنها ازدادت عتوا، فاقتربت ليلاً من دايرة. الجون محمى جيداً، بفضل ضحالة مياه Ras al . MUTAF من التموج عندما تكون الريح NW، ولذلك ففي الصباح التالي، ورغم ان الريح استمرت تعصف بقوة 8 عقد، ارسلت ضباطاً في قارب إلى الشاطئ. وهنا استقبلهم بكل حفاوة مساعد المحافظ الذي احسن وفادتهم وبالغ في كيل المدائح لروسيا. حدث ذلك قبل الساعة 11 نهاراً، وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وصل مساعد المحافظ (في دور حاكم الديوان) بصحبة 5 . 6 مستخدمين لكي يقدم للضباط شكر المحافظ على الزيارة. فأرسل هدية إلى السفينة تتألف من ثلاثة خرفان وكمية كبيرة من الخضار ويوسف افندي وبيض، وغير ذلك. ورددنا على هداياهم بما توافر لدينا.

(ص242 ظهر) عندما غيرت خط سير السفينة في الساعة العاشرة صباحاً باتجاه دايرة اضطررت للسير وسط ريح متوسطة القوة، علماً بأن حمولة الفحم في السطح العلوي كانت تمارس تأثيرها بشكل ملحوض: فرغم انخفاض عدد التمايلات حتى 10.5 فإن السفينة، التي كانت تميل احياناً حتى الحد الأقصى، لم تكن تبدأ بالارتفاع على الفور بل تبقى في وضع منحرف. ولدى المقارنة بين هذا التأرجح وبين التأرجح في الظروف العادية، مع وجود 30 طناً من الحمولة على السطح العلوي، أعتقد بأنه يمكن، إذا دعت الحاجة، وضع ما بين 40 و50 طناً على السطح العلوي، ولكن ليس أكثر من ذلك.

بعد ظهر الحادي عشر من شباط اخذت الريح تهدأ، وفي الساعة الثالثة رفعت المرساة واتجهت نحو بوشهر حيث دخلت المكلأ الداخلي في الساعة العاشرة صباحاً من 12 شباط، بمصاحبة مرشد بحري ارسله الحاكم العام لملاقاة السفينة سوية مع مترجم ايراني، والقيت المرساة إلى 22 قدماً على مسافة 3 أميال من الشاطئ. واطلقت تحية الأمم وتلقيت من سفينة خفر السواحل الإيرانية "بيرسيبوليس" جواباً بالعدد نفسه من الطلقات.

في المكلأ التقيت سفينة خفر السواحل الإيرانية "بيرسبوليس" (السفينة الحربية الإيرانية الوحدية) والسفينتين الحربيتين البريطانيتين "pomone" وسفينة البريد 'davrense" (من الاسطول الهندي). (ص 243) اختارت السفينتان البريطانيتان مكاناً للوقوف لا مكلآت بوشهر الداخلية أو الخارجية بل قبالة مصيف قنصلهما العام ومبنى البرق البريطاني إلى الجنوب، من المدينة، بحيث انهما كانتا تبعدان عن المكلأ مسافة 8 أميال تقريباً.

وما ان رسوت حتى صعد الي قائد "بيرسبوليس" (من الارمن) في زي ملازم للاسطول الإيراني يحمل تحية باسم الحاكم العام، اضافة الى انه ابلغني ان الحاكم العام طلب منه ان يحيطني علماً بأنه على استعداد لاستقبالي في أي وقت كان. فعين موعد الزيارة في الساعة الرابعة. وعلى

أثر قائد "بيرسبوليس" وصل إلى السفينة عميد القنصلية الفرنسية حاجي ميرزا حسين في زي نائب القنصل الفرنسي واعلن انه تلقى امراً من مبعوثه في طهران بالحضور إلى السفينة والحلول محل قنصلنا موقتاً. بعد قيامي بزيارة للقائد الإيراني توجهت بصحبة ضابطين عند حوالي الساعة الرابعة إلى مقر الحاكم العام القائد عند الشاطئ مباشرة. وفي الساحة امام المقر كان يصطف حرس وجوقة موسيقية. وبعد استعراض الحرس اتجهت نحو الدار، بينما كان يسير امامنا في موكب (لاجل ضيوف الرف حسب التقاليد الإيرانية يتألف من 12 شخصاً من الخدم يحملون صوالجة). (ص243 ظهر) في غرفة التشريفات استقبلنا الحاكم العام الجنرال أحمد خان داريا بك (سيد البحار)[1] محاطاً باصحاب السلطة المحلية العليا وجميعهم في ازياء رسمية.

بعد تبادل التحايا الأولى وقبل ان افلح في التطرق لمسألة الفحم في بندر عباس بادر الحاكم العام نفسه بالحديث عن ذلك، واعرب عن اسفه، وشرح ذلك بأنه جرى اطلاعه في وقت متأخر للغاية عن وصولنا، ولذا لم يفلح، بسبب عدم وجود تلغراف، في اعطاء المحافظ في بندر عباس التعليمات اللازمة. ولدي ذلك اقترح الحاكم العام التنازل لنا، من الاحتياطيات غير الكبيرة المخصصة للسفينة "بيرسيبوليس"، عن بضع عشرات من اطنان الفحم، وإذا أصبنا بخسائر ما بسبب بندر عباس فانه يعتبر من واجبه تعويضها بشكل من الاشكال: فاعلنت انا، بالطبع، انه لم تحدث أية خسائر لانه تسنى لنا وضع 100 طن ونيف من الفحم في السطح العلوي. (ص 244) وبالاجمال كان الحاكم العام لطيفاً جداً ومفضالاً، وقال انه إذا احتجنا لأي شيء فلنعلمه بذلك، وانه سيبذل كل ما في وسعه لكي يقدموا لنا كل ما نحتاج إليه. واعلن الحاكم العام لدى توديعنا انه في اليوم التالي، 12 شباط، سيقوم بزيارة لي على السفينة، اما في مساء اليوم فيطلب مني ومن ضباط السفينة تناول طعام الغداء إلى مائدته في داره الشخصية بضاحية المدينة، وبما ان المواصلات إلى هذه الدار غير مريحة البتة ليلا بسبب الطرقات الوعرة فقد اقترح علينا ان نبيت ليلتنا عنده.

في الساعة المعينة وصل الحاكم العام إلى السفينة بمصاحبة أصحاب السلطة المحلية أولئك انفسهم، وكان يرتدي زي نائب اميرال إيراني. وإذ رأى تلك الكومة من الفحم الباقية على متن السفينة راح يعتذر من جديد ويعرب عن اسفه. وعلى الرغم من الغبار الفحمي اعرب عن الرغبة في مشاهدة السفينة، فطاف بجميع اقسامها، وكان على ما يبدو مسروراً بذلك وقد جرى الحديث بدون مساعدة المترجم لأن داريا بك يجيد التكلم بالفرنسية ويعرف الانجليزية بعض الشيء. حسب الاستعلامات التي حصلت عليها ينبغي ان يكون عدد طلقات التحية لداريا بك، بمقتضى لقبه سيداً للبحار، 21 طلقة، بينما يطلق الانجليز 17 طلقة تحية له. (ص44 ظهر) وبعد

---

[1] لقب داريا بك (سيد البحار) ، الممنوح للحاكم العام البوشهري بوصفه رئيساً للخليج العربي وموانئه، يعطيه ايضاً رتبة نائب اميرال للاسطول الإيراني (ملاحظة من الوثيقة).

التفاوض مع الموظف الدبلوماسي العامل لديه ومع القنصل الفرنسي، اقر الرأي على 19 طلقة، وأدينا هذه التحية بالذات لدى مغادرة دارياً بك، علماً بأن "بيرسيبوليس" اجابت بالعدد نفسه.

في المساء جرت مأدبة الغداء عند الحاكم العام التي دعى اليها، بالاضفة إلى ضباطنا، أصحاب السلطة المحلية والقنصل الفرنسي وطبيبنا البري شانيافسكي الموجود هنا بتكليف من لجنة مكافحة وباء الطاعون، المصادق عليها من السلطات العليا، لاجل مراقبة سير الاوبئة في هذه الاماكن. كان الغداء اوروبياً تماماً، وجرى في جو مرح جداً بفضل لطف داريا بك وكثرة كلامه، وقد اعرب غير مرة عن ارتياحه من ان دولاً اخرى، علاوة على بريطانيا، بدأت تعير الخليج العربي الانتباه، الأمر الذي يشكل فائدة، بلا شك، لايران ايضاً، لأن إيران في هذه الحالة لن تكون محصورة في كماشة ثقيلة كما هي الآن في ظل هيمنة بريطانيا في الخليج العربي. وعلى العموم فقد بدأ لي صريحاً جداً ويغتنم كل فرصة سانحة لكي يعرب عن نفوره من الانجليز. (ص 245) وقد حدثنا كيف انهم يفرضون الحجر الصحي لاجل عرقلة سفرات الرحالة غير المرغوب فيهم، وكيف انهم يستدرجون المرشدين البحريين ويشترون ذممهم ويهددونهم لكيلا يرشدوا السفن الحربية الاجنبية، واضاف لدى ذلك: "يمكنك الاعتماد كلياً على المرشد البحري الذي قدمته لكم، ولا تصدقوا الانجليز، بل سيروا بكل اقدام وشجاعة نحو المحمرة والبصرة، فانه مرشد مضمون تماماً". وقد صدقت كلمات الحاكم العام هذه كلياً فيما بعد.

أثناء تحميل الفحم في بندر عباس رضضت رجلي، ومن جراء المشي والحركة ابان الانتقال إلى بوشهر والتنقلات في هذه المدينة فإن الجرح الذي اصبت به أثناء الرضة ألتهب وتقيح واجبرني على ملازمة السرير في 16 شباط.

وبما اننا تلقينا في هذا اليوم امراً برقياً بالتوجه إلى البصرة رغم الحجر الصحي، وبما انني كنت عاجزاً عن الذهاب إلى مركز القيادة فقد امرت الملازم الأول ساريتشيف بقيادة السفينة إلى البصرة.

في 17 شباط، الساعة الرابعة بعد الظهر، رفعنا المرساة وابحرنا، وفي الساعة الثامنة صباحاً من يوم 18 شباط اقتربنا من الغور الحصباوي لشط العرب حيث رسونا بانتظار ارتفاع منسوب المياه. (ص 245 ظهر) لقد كان ينبغي للمياه ان تملأ الغور في الساعة 30 و12 ظهراً، ولكن كان يمكننا ان نعبر الغور في الساعة 11، ولذا رفعنا المرساة وقطعنا بكل امان الغور الذي لم يكن عمقه في يوم من الأيام أقل من 15 قدماً، وعند الساعة 12:30 اقتربنا من الحصن التركي الفاو. وهنا استقبلنا في قارب بخاري سكرتير قنصليتنا في بغداد السيد اوفسيينكو، وابلغنا ان القنصل كروغلوف سيستقبلنا في المحمرة.

سرنا إلى اعالي النهر بدون أية مصاعب، وكان المرشد البحري الذي اعطانا اياه الحاكم العام في بوشهر يعرف المجرى الملاحي بصورة رائعة، ليس هذا فسحب بل قد اكتنز ايضاً خبرة كبيرة في

توجيه السفن البخارية وتكيف بسرعة شديدة لخصائص السفينة. وبسبب الوجع القوي في الرجل لم استطع المشاركة شخصياً بصورة مباشرة في قيادة السفينة لدى السير إلى اعالي النهر، وخرجت مرتين فقط إلى سطح السفينة بمساعدة آخرين.

عند الساعة 4:30 مساء وصلنا المحمرة حيث رسونا لتمضية الليل. وسرعان ما وصل الينا قنصلنا في بغداد المستشار كروغلوف. المحمرة هي المدينة الرئيسية في عربستان الفارسية. (ص 246) ويحكم هنا شيخ عربي يوجد في تبعية اقطاعية لايران التي يدفع لها اتاوة معينة ولكنه مستقل ومطلق التصرف بصدد الإدارة الداخلية لقبائله واراضيه. والحكومة الإيرانية لا يروق لها ابداً استقلال كهذا، وحاولت مرات عديدة تقييدة، ولكن دونما نتيجة نظراً لضعفها. واثار مطمع إيران ارتياباً شديداً في نفس الشيخ. ويعيش في قصره حرس قوامه 1000 شخص مدججين بالسلاح الأبيض والناري (الحديث). ومن هذا الحرس يرافقه دائماً بضعة افراد، فعند كل باب، مثلاً، يقف شخصان، وخلف الكرسي، التي يجلس عليها الشيخ مستقبلاً الضيوف، يقف حارسان، وعلى العموم فاينما يسير الشيخ داخل القصر أو خارجه يتبعه دائماً 6 أشخاص من الحرس. وخوفاً من ان يختطف سراً لم يسافر الشيخ ابداً على متن السفينة الإيرانية "بيرسيبوليس"، وبسبب ذلك لا يزور السفن الحربية للأمم الأخرى ايضاً. ونيابة عنه أرسل إلى سفينتنا ابن اخيه مع التحية.

(ص 246 ظهر) في اليوم التالي المصادف 18 شباط، بعد الساعة الثامنة صباحاً ارسلت نائبي مع عدة ضباط إلى الشيخ الذي ابلغه داريا بك بوصولنا، فأحسن وفادتنا واطلعنا على قصره واسطبلات الخيل وغيرها.

في الساعة 11 صباحاً من يوم 19 شباط رفعنا المرساة واتجهنا نحو البصرة حيث رسونا في الساعة الثانية بعد الظهر، ورفعنا علم الحجر الصحي. وهنا تلقيت بواسطة سكرتير قنصلنا[1] تبليغاً من سفيرنا في القسطنطينية بأنه إذا كان لا يوجد على متن السفينة رحاب من الاماكن المشبوهة فإن الحجر الصحي يمكن ان يقلص. وفي يوم 20 شباط تلقيت تبليغاً من السفير، وعلى اثره من مفتش الحجر الصحي ايضاً، بأنه نظراً لتطهير السفينة بوسائلها الخاصة يمكن ايقاف الحجر الصحي، وفي 26 شباط صباحاً انزلنا علم الحجر الصحي.

جواباً على سؤالي بصدد تحية الأمة ابلغني الوالي انه، على الرغم من انه توجد في البصرة بطارية مدفعية ميدانية وبما ان الاوامر تقضي بأن تطلق التحية منها تكريماً لجلالة السلطان فقط، فانه، إي الوالي، سيبرق إلى القسطنطينية بهذا الصدد. (ص47) وفي اليوم نفسه، المصادف 25 شباط، ورد أمر من القسطنطينية بصدد التحية ايضاً، وطلب الوالي تعيين موعد

[1] بما ان القنصل صعد إلى السفينة في المحمرة فقد كان مضطراً لقضاء فترة الحجر الصحي على متن السفينة. (ملاحظة من الوثيقة).

اطلاق التحية، فتقرر القيام بذلك في 26 شباط الساعة العاشرة صباحاً. وتبين ان اداء التحية يشكل حدثاً كبيراً في البصرة: فعند الموعد المقرر امتلأت جميع الكورنيشات بجمهور متراص من الناس، وفي النهر كان يتنزه جمهور غفير في زوارق من صنع محلي (ابالم)، ووصل الحاكم العام شخصياً (الوالي، وهو ايضاً قائد القوات) إلى الساحل حيث توجد بطارية المدفعية. وفي تمام الساعة العاشرة ادوا تحية من 21 طلقة مع رفع العلم التركي مما أثار تهلل وابتهاج الجمهور المحتشد على الكورنيشات وفي الزوارق. وتلا تحيتنا جواب البطارية التركية بعدد مماثل من الطلقات مع رفع العلم الروسي على سفينة المرابطة التركية.

من بين السفن الحربية الأجنبية صادفت هنا السفينتين البريطانيتين:

سفينة "سفينكس" وسفينة المرابطة البغدادية "كوميتا" التي أتت إلى هنا خصيصاً بمناسبة وصولنا. ان سفينة "كوميتا" هي سفينة نهرية فقط وتوجد دائماً في بغداد تحت تصرف القنصل العام البريطاني.

بسبب مرضي لم استطع على الفور بعد انزال علم الحجر الصحي القيام بزيارة للحاكم العام التركي (الوالي)، وبما ان القنصل كان يفضل ان اسافر وان لا أرسل نائبي فقد اتفق مع الحاكم العام على ان اسفار إلى عنده بعد مرور يومين. (ص 247 ظهر) ان هذا الاعتبار وانه كان يلزم قبول بعض الدعوات والقيام بزيارات جوابية عليها قد اضطرني لتمديد فترة التوقف في البصرة لمدة طويلة نسبياً. كان حاكماً عاماً للبصرة الفريق محمد مواسن باشا الذي عين والياً منذ بضعة اسابيع فقط بدلا من الوالي السابق الذي عزل من منصبه. وحتى هذا التاريخ كان مواسن باشا قائد لقوات دائرة البصرة فقط.

بالاضافة إلى الحاكم العام كان يترتب عليَّ، بناء على نصيحة القنصل، القيام بزيارة للاعيان الاتراك التاليين ايضاً:

يعقوب بك، قومندور، رئيس محطة البصرة البحرية.

اسماعيل توفيق باشا، لواء.

سعيد أحمد باشا (موظف مدني)، رئيس قسم التعليم العام في دائرة البصرة، عضو عائلة غنية ومشهورة جداً في البصرة تتمتع بنفوذ شديد في الولاية باسرها.

عبد مافيند سابين افندي، رئيس قسم المالية في الولاية. (ص 248) لجميع هؤلاء قمت بزيارات في 28 شباط بمعية القنصل وبصحبة بعض ضباط السفينة، وفي كل مكان استقبلونا بحفاوة وترحاب بالغين. ففي مقر الحاكم العام كان الاستقبال منظماً بصورة احتفالية مميزة: فقد اصطف حرس وجوقة موسيقية، ومواسن باشا نفسه وياورانه كانوا في زي استعراضي. وباستثناء الحاكم العالم، الذي يجيد التحدث باللغة الفرنسية، ترتب علينا ان نتحدث مع الآخرين بوساطة مترجمين

وهما قنصلنا وسكرتيره. وقاموا بزيارتنا في اليوم التالي، علماً باننا ادينا تحية من 17 طلقة للحاكم العام لدى مغادرته.

في اليوم ذاته مساء اقيمت مأدبة غداء عند قنصلنا، وبعد الغداء دعانا الحاكم العام لتناول طعام الغداء عنده يوم الاربعاء القادم. وإذ علمت مسبقاً من خلال القنصل ان الحاكم العام يقبل الدعوة فقد دعوته لتناول طعام الغداء في السفينة يوم الثلاثاء. فانا شخصياً لم اكن استطيع حضور مأدبة الغداء الا عند القنصل وعندي في السفينة، بينما سافر إلى عند الحاكم العام نيابة عني نائبي الملازم ساريتشيف. وقد تخوفت بعض الشيء من ان يستاء الحاكم العام من ذلك، ولكنني، مع الاسف، لم اكن قادراً على الذهاب بسبب تردي مرض رجلي من كثرة التنقلات. (ص 248 ظهر) ولكن مواسن باشا لم يستأ، بل وقام شخصياً في اليوم التالي بزيارتي مرتدياً زيا مدنيا، ومكث عندي أكثر من ساعة، وابدى رغبة في ان تؤخذ له صورة فوتوغرافية مع ضباط السفينة.

بما انه لم يتسن لنا تدبير مستودع موقت للفحم في بندر عباس وان اكمال احتياطيات الفحم كان امراً ممكناً في البصرة فقط، فقد تبين انه من الممكن الوصول إلى غوا بشرط ان نعرج أثناء الطريق على لنغة فقط متجاوزين الكويت. ويرى القنصل (بالمناسبة) انه من المفيد أكثر بكثير التعريج على الكويت (سيكون لي شرف التحدث عن ذلك بالتفصيل فيما بعد)، ولذا فقد اعتبرت من واجبي أن ابلغ الامين العام لوزارة البحرية بواسطة البرق انه إذا عرجنا على الكويت فسيكون من الضروري التعريج على كراتشي طلباً للفحم، وقد أعلنت هذه المدينة مدينة مشؤومة بسبب الطاعون. وإذ تلقيت امراً من الامين العام لوزارة البحرية بعدم التعريج على الكويت أبلغت القنصل بذلك، وكان قد تقرر تخطي هذا المرفأ عندما علمت، أثناء حديثي مع السيد الاصفر، عميل . Anglo - Aabian Persian Steam Ship Company الذي زودنا بالفحم في البصرة، حول امكان تزويد سفننا بالفحم في المستقبل، انني استطيع الآن ايضاً الحصول على مائة طن من الفحم في بوشهر (ص 249) اما عندما استعلمت، لدى وجودي في بوشهر، عن الفحم فقد تلقيت من الجميع جواباً بأنه لا يوجد فحم هناك. ولدى وصولي ثانية إلى بوشهر علمت انه كان ثمة أمر سري من القنصل العام البريطاني بمنع تزويدنا بالفحم، اما في المرة الثانية فقد حصلنا على الفحم بأمر من العميل الرئيسي (الاصفر). سوف اقدم تفاصيل اوسع لاحقاً عن دسائس الانجليز.

ولكي أكون على ثقة باننا سنحصل على الفحم عقدت في بوشهر صفقة خطية مع السيد الاصفر تقضي بأن يزود السفينة بـ 120 طناً من الفحم، منها 70 في البصرة و50 في بوشهر، وضماناً لصحة التسليم ابقيت لدي من ثمن السبعين طناً 100 جنيه سوف ادفعها في بوشهر؛ وضماناً لصحة التسليم ابقيت لدي من ثمن نفسها. وإذا ضمنت لنفسي، بهذه الطريقة، الحصول على الفحم في بوشهر توفرت لي امكانية التعريج، بإذان من الامين العام لوزارة البحرية.

على الكويت يوم السبت المصادف 4 آذار (مارس)، الساعة 5:30 صباحاً، وبعد ان صعد السفينة مساء امس قنصلنا وسكرتيره، رفعت المرساة لاجل التوجه إلى الكويت. (ص 249 ظهر) اجتزت النهر والغور الحصباوي بأمان، وكان العمق الأدنى لهذا الغور قبل امتلائه بالمياه بنصف ساعة 17 قدماً.

ووصلت الكويت الساعة التاسعة مساء وصادفت في المكلأ السفينة البريطانية "سفينكس" التي غادرت البصرة قبل يومين من مغادرتنا لها. وفي الساعة الثامنة من اليوم التالي أرسل الينا شيخ الكويت، الذي اخطر الحاكم العام في البصرة بمجيئنا، نجله الأكبر مع تحية ودعوة إلى تناول غداء عربي عند الظهر. وعلى الرغم من ان رجلي تحسنت بعض الشيء بحيث كنت استطيع الخروج إلى غرفة القيادة فلم أذهب مع ذلك، بسبب الالم أثناء السير، إلى الشاطئ، بل ارسلت نائبي الذي ذهب معه ايضاً ضباط آخرون والقنصل. ان الشيخ الكويتي، الذي يعتبر نفسه تابعاً لتركيا ولكنه يتصرف ايضاً كشيخ محمري، بصورة مستقلة جداً، استقبل ضباطنا وقنصلنا بحفاوة بالغة، واعرب عن اسفه من اننا سنتوقف مدة قصيرة إذ انه هيأ لنا نزهة صيد بالصقور والكلاب، وكان يوم اطلاعنا على مقر اقامته في الصحراء الواقع على مسافة يوم سفر على الخيل من الكويت، وغير ذلك. (ص 250) ووعد باعداد قافلة محروسة خصيصاً للقنصل لاجل العودة من الكويت إلى البصرة، وبما ان القنصل كان يرغب في العودة عن طريق البر بالذات لاسباب خاصة، لذا فلم نكن بحاجة للذهاب إلى الفاو، وفي المساء نفسه رفعنا المرساة وتوجهنا إلى بوشهر حيث وصلنا في اليوم التالي، المصادف 6 آذار، بعد الظهر، فرسونا وادينا تحية الأمة من 21 طلقة وتلقينا تحية جوابية من السفينة "بيرسيبوليس": لم يكن الحاكم العام موجوداً في بوشهر ،فقد كان في مكان ما وكان ينوي العودة في 8 آذار. اوفدت إليه نائبي بزيارة مع رسالة خطية شكرته فيها على حسن الضيافة والحفاوة الذين خصنا بهما وهنأته بعيد رأس السنة (حسب التقويم الفارسي يقع عيد رأس السنة في 8 آذار).

طلب منا قائد "بيرسيبوليس" المشاركة في الاحتفال بعيد رأس السنة، ولذا فقد زينا السفينة بالاعلام في الساعة الثامنة من صباح 8 آذار، وفي الساعة التاسعة صباحاً ادينا تحية من 21 طلقة. ودعى قائد "سفينكس" أيضاً، الذي وصل إلى بوشهر في اليوم التالي لوصولنا، إلى المشاركة في الاحتفال ولكنه رفض، الأمر الذي تشكى لي منه قائد "بيرسيبوليس" قائلاً ان الانجليز يتصرفون دائماً بهذه الطريقة. وبصورة غير متوقعة أبداً ازدادت "سفينكس" بالاعلام عند حوالي الساعة العاشرة ولكنها لم تطلق تحية. (ص 250 ظهر) وبما انني كنت قد حددت الساعة الثامنة موعداً لمغادرة بوشهر فقد ابلغت قائد "بيرسيبوليس" انني، نظراً لعيد رأس السنة الفارسي، فسوف ابقى حتى الساعة الثالثة من بعد الظهر واشترك في الاحتفال، ولكنني سأنزل الاعلام قبل نصف ساعة من الاقلاع، ما عدا العلم الرئيسي.

الخمسون طناً من الفحم، التي تنص عليها الصفقة، استلمتها في 7 آذار، وفي 8 آذار، الساعة الثالثة بعد الظهر، وعلى متن السفينة حوالي 70 طناً من الفحم، ابحرت باتجاه غوا، بل وحتى كولومبو في حال وجود أحوال جوية جيدة. بما ان الريح الشمالية الغربية، التي كانت تعصف طوال أربعة ايام بقوة شديدة، هدأت في 6 آذار، فقد كان بالإمكان التعويل، باعتبار اننا قد اصبحنا في شهر آذار، على ان الطقس الهادئ في الخليج العربي سيستمر ثلاثة . أربعة أيام. ومن جراء ذلك كان في استطاعتي وضع 70 طناً من الفحم على المتن، وبهذا الاحتياطي من الفحم كان بالإمكان التعويل على الوصول، في حال وجود أحوال جوية ملائمة، حتى كولومبو، الأمر الذي كان مرغوباً فيه جداً في هذه الحالة لانه، حسبما ابلغني قنصلنا بناء على طلبي، فرض حجر صحي مدته عشرة أيام على السفن المتجهة من مرافئ الهند، بما في ذلك ميناء غوا ايضاً، إلى كولومبو، علماً بأن مدة المكوث في البحر تدخل هذه الأيام العشرة . (ص 251) إذن فقد كان يترتب علينا، على كل حال، بعد مغادرتنا غوا، المكوث 6 أيام في الحجر الصحي كان الطقس، طوال 11 يوماً من الملاحة، ملائماً جداً بالفعل: الرياح المؤاتية من 2 إلى 5 عقد، التموج معتدل والتيار المؤاتي من حوالي 20 ميلاً في اليوم. لقد علمت في البصرة من قبطان أحد المراكب التجارية البريطانية، المطلع على موانئ ساحل هندستان الغربي، انه يمكن دائماً في كالكوتا وفي كوتينا الحصول على كميات غير كبيرة من الفحم، ولكن لا أكثر من مائة طن. لقد كان ذلك امراً هاماً للغاية لانه كانت توجد على السفينة كمية تكفي فقط لاجل الوصول إلى كولومبو مباشرة.

في 19 آذار الساعة السادسة صباحاً اقتربت من كولومبو، وإذ استقبلت المرشد البحري اجتزت كاسحة الامواج وانزلت مرساتين واوقفت السفينة بحيث رست مؤخرتها بالبرميل. وفي الساعة الثامنة اديت تحية الأمة من 21 طلقة وتلقيت تحية جوابية بالعدد نفسه من بطارية الساحل.

وانني، إذ ابلغ سموكم الامبراطوري بصورة عامة عن ملاحة السفينة الموكلة إليَّ في ارجاء الخليج العربي، اعتبر من واجبي ان اضيف إلى تصوراتي الانفة الذكر معلومات جمعتها أثناء هذه الرحلة، وان اسمح لنفسي بالاعراب عن الانطباعات التي حصلت عليها أثناء هذه الرحلة، وان اسمح لنفسي بالاعراب عن الانطباعات التي حصلت عليها أثناء تجوالي في مرافئ الخليج المذكور.

(ص251 ظهر) ان الظروف المناخية للخليج العربي والقيظ الشديد صيفاً تستبعد تقريباً امكانية الملاحة هنا في غضون الأشهر الصيفية الاربعة، وحتى ان الانجليز، الذين من مصلحتهم الابقاء على سفينة . سفينتين ثابتتين على مدار السنة في الخليج العربي، لا يبقون هنا في الصيف سفنهم الحربية الا في الحالات الطارئة. ولدى ذلك يوجد على كل واحدة من سفنهم في عداد طاقمها بضعة أشخاص مستأجرين من الزنوج والهندوس الذين تقع على عاتقهم بالذات

اشق الأعمال ابان فصل السنة القائظ : للتجذيف في القوارب، ولنقل الطرود إلى الشاطئ، ولشتى الأعمال خارج السفينة، وما شابه. والسفينة الموجودة (Lowrence) تحت تصرف القنصل العام في بوشهر أو، كما يدعى، المندوب السامي، تتألف كلياً تقريباً من الهندوس والزنوج. والاشهر الشتوية، على العكس، باردة جداً لدرجة ان ميزان الحرارة يهبط احياناً في الموانئ الشمالية ليلاً إلى ما تحت الصفر، ولكن ابتداء من تشرين الأول (أكتوبر) وحتى أواسط شباط (فبراير) تهب رياح عاصفة، فتعوق الملاحة. وفي هذه الأشهر يندر ان يمر يوم ذو طقس ملائم للملاحة، ولدى ذلك لا يعطي ميزان الضغط الجوي ابداً أية اشارات ابداً بل يراوح مكانه أو يتحرك إلى هذه الجهة أو تلك تحركاً طفيفاً للغاية حتى عندما تهب الريح، (ص252) في ظرف ساعتين . ثلاث، بقوة تتراوح من 3 إلى 8 . 9 عقد تحت سماء صافية تماماً. الريح الغالبة هنا هي NW وتدعى الريح الشمالية الغربية، وتهب رياح عليلة ايضاً من جميع الجهات الأخرى ولكن ليس بديمومة الريح الشمالية الغربية التي تعصف احياناً طوال 6 . 7 وتصل أثناء ذلك بضع مرات إلى قوة 9 . 10 عقد.ومما يزيد في اعاقة هذه الريح للملاحة انها تحمل من بلاد ما بين النهرين سحباً كبيرة من الرمل أو الغبار الممزوج بألياف دقيقة من الاعشاب تندفع بجبهة متراصة فوق الخليج في هيئة ضباب كثيف فتحجب الساحل تماماً وتعوق حتى رؤية الشمس نهاراً. واثناء وقوف السفينة في البصرة ودايرة كان الساحل يغطي احياناً بهذا الغبار إلى مسافة 4 اطوال كبلية، بحيث يخيل للمرء ان ثمة ضباباً حقيقياً. وجميع البحارة، الذين اتفق لنا ان قابلناهم، كانوا دائماً يشيرون إلى صعوبة الملاحة في الخليج العربي أثناء فصل الشتاء، وكتاب تعليمات الملاحة مليء بالتحذيرات مع الاشارة إلى امكان الاختباء في حال هبوب الريح. اما كانون الثاني (يناير) وشباط (فبراير) فهما مع ذلك أفضل بكثير من الأشهر الأخيرة للسنة، ولذا فإذا تقرر ارسال سفننا في المستقبل ايضاً إلى الخليج العربي فينبغي القيام بذلك في هذين الشهرين بالذات، وإذا كان هدفها اللاحق مواصلة الملاحة إلى الشرق الأقصى فمن الأفضل ايضاً القيام بذلك في شهر شباط وآذار.

(ص252 ظهر) سوف اقدم، في تقرير خاص إلى الأركان البحرية العامة، ملاحظات ملاحية بصدد الخليج العربي وضعها رئيس خدمة ملاحة السفينة الموكلة الى الملازم باخيريف، يمكن ان تجلب فائدة للسفن التي سنرسلها في المستقبل إلى هذه المياه.

ان تزويد سفننا بالوقود في الخليج العربي يمكن اعتباره مضموناً تماماً في المستقبل شريطة اتخاذ بعض التدابير قبل شهر أو شهرين من مجيء السفينة إلى الخليج العربي. ففي البصرة توجد أربع شركات تجارية تملك دائماً مخزونات من الفحم في هذه المدينة وفي بوشهر على السواء، ولكن بقدر أقل بكثير في مدينة بوشهر. وقد أعلن السيد الاصفر، الذي ذكرته آنفاً، انه عندما سنكون بحاجة للفحم فسوف يزود سفننا دائماً بكمية تصل حتى 500 طن في البصرة وبوشهر،

اما إذا تم اخطاره قبل شهرين فبأية كمية كانت، (ص 253) علماً بأنه وافق على ان يوقع، في حال حصوله من قنصلنا في بغداد قبل شهر من وصول سفينتنا على كمية الفحم المطلوبة، عقداً بتسليم حتى 600 طن من الفحم في مرافئ البصرة وبوشهر وبندر عباس.

ومن جهتي اعتبر واجباً عليَّ ان أعلن انه من الضروري بالتحديد توقيع عقد عن طريق قنصلنا، والا فإن دسائس الانجليز، وهو ما سأتحدث عنه فيما بعد، الذين لا يتورعون عن بذل كل شيء لاجل عرقلة ملاحة سفينة حربية أجنبية في هذه المياه، يمكنها فعلاً ان تضع سفينتنا في حالة عصيبة. ان المعطيات الواردة أدناه تستند إلى معلومات مستقاة من اشخاص مختلفين يوحون بالثقة بدرجة معنية مثل السلطات الحلية والقناصل والتجار. بالاضافة إلى انني تحققت قدر الامكان ومن مصار مختلفة من صحة المعطيات التي حصلت عليها.

عندما أصبح معلوماً ان "غيلياك" تتجه نحو الخليج العربي وان مركباً محملاً بالفحم سيأتي إلى بندر عباس بدأت القنصلية العامة البريطانية في بوشهر (المقر العام) نشاطاً محموماً بهدف عرقلة الملاحة. (ص253 ظهر) فقد أرسل الطراد "Pomone" إلى بندر عباس، الذي لم يكف عن محاولة اقناع المحافظ، كما اعترف هذا نفسه بذلك فيما بعد، بأن تفريغ الفحم على الشاطئ لاجل السفينة الحربية الروسية هو بداية فقط لاحتلال بندر عباس، وقد ساعدت على ذلك ايضاً مقتطفات مأخوذة من جرائد بريطانية وايرانية وحتى روسية حول سعي روسيا لاحتلال بندر عباس. وقد اقترح المندوب السامي على الشركات الأجنبية في بوشهر والبصرة عدم تقديم أي شيء لنا. واثناء زيارتنا الثانية لبوشهر اعترف بذلك عميل .

Anglo -Arabian Persian Steam Ship Company قائلاً انه يستطيع الآن تقديم الفحم لأن لديه أمر بذلك من الاصفر. اما بخصوص الاصفر فانه، بوصفه شخصاً ثرياً جداً وحاذقاً للغاية كشخصية تجارية وسياسية على السواء تقدم لاولئك الانجليز أنفسهم معلومات هامة، استطاع ان يجعل من نفسه شخصاً ضرورياً، وهو يستغل ذلك لكي يكون طليق اليدين ما امكن، ولهذا السبب بالذات استطاع ان يقدم لنا الفحم حين كانت الشركات الأخرى تتذرع بعدم وجود كمية كافية حتى لاجل حاجاتها هي. وليس بالنسبة للفحم فقط حاول الانجليز خلق المصاعب لنا، بل وبالنسبة لمواد أخرى ايضاً: فخوفاً من ان لا يكفينا زيت المحركات اردت ان اشتريه في بوشهر أو البصرة، ولكن لم يكن ممكناً الحصول عليه من الشركات البريطانية . وهي الشركات الوحيدة التي تملكه . فاضطررت لشرائه بواسطة قائد "بيرسيبوليس". (ص 254). وقد طلب اهالي البصرة المحليون العاملون على هذه السفينة، الذين كانوا لنا سماسرة تجاريين وموردي بضائع وما شابه، طلبوا الحماية من القنصل الروسي معلنين ان القنصل البريطاني يهددهم بالطرد الاداري حالماً تغادر "غيلياك" ويسافر القنصل.

عندما تحادثت برقياً من بوشهر مع قنصلنا بشأن الحجر الصحي طلب الحاكم العام مواسين باشا، افتراضاً منه بانني اصادف صعوبة في استئجار مرشد بحري، طلب من القنصل ابلاغي بالتعريج على الكويت حيث أعد لي مرشداً عليماً.

وبما ان الانجليز قد سيطروا على التجارة في الخليج العربي منذ زمن بعيد وعملوا الشيء الكثير لاجل الملاحة في هذا البحر فهم، بطبيعة الحال، يجهدون بكل الوسائل لكي يبقى الخليج وكأنه بحر بريطاني داخلي يستخدمونه هم فقط. ولهذا الهدف استولوا عملياً على ساحل عمان وعقدوا مع سلطان عمان معاهدة لا يستطيع السلطان، بموجبها، ان يفعل شيئاً بدون علم الحكومة البريطانية التي يقيم ممثلها الدائم في مسقط. (ص 254 ظهر) وعقدوا معاهدات مماثلة مع سائر مشايخ الساحل العربي حتى شبه جزيرة قطر، وكذلك مع المشايخ في الجزر البحرانية، علماً بأن المقيم البريطاني في بوشهر يعتبر مرجع تحكيم في حال نشوء خلاف بين المشايخ. فهم لا يحق لهم ان يقاتل أحدهم الآخر كما كانوا يفعلون سابقاً، إذ تراقب ذلك بعين ثاقبة السفن البريطانية المرابطة في الخليج التي لا تتورع عن اتخاذ اقسى الاجراءات لاجبار المشايخ على الطاعة، وقد حدثت امثلة على ذلك. فخلال الاعوام الاثنين . الثلاثة الأخيرة لم تحدث، بالمناسبة، حالات كهذه، وقد رضخ المشايخ لهذه المطالب لدرجة انهم غالباً ما يسافرون بانفسهم إلى بوشهر طلباً للوساطة. والشيخان الوحيدان في الساحل العربي، اللذان ما يزالان قويين لدرجة انهما لم يقعا كلياً تحت النفوذ البريطاني، هما شيخ قطر وشيخ الكويت. وكلا الشيخان يعتبران نفسهما تابعين للسلطان التركي الذي يدفعان له اتاوة، ومنذ 5 أو 6 سنوات مضت اعترفت بريطانيا نفسها بهذا الاستقلال، ولكنها اخذت منذ بعض الوقت (2. 3 سنوات)، وعلى الارجح تحت تأثير أمماً أخرى شرعت تولي الخليج العربي اهتمامها، تصر على الاستقلال التام لهذين الشيخين وتجري معهما مباحثات مباشرة، وتحاول بالاموال والهدايا اقناعهما باستقلالهما وكسب مودتهما. (ص255) وحتى الآن لم يتسن لبريطانيا اخضاع هذين الشيخين كلياً. فالشيخان يصغيان لنصائح ممثلي بريطانيا ويعملان احياناً بهذه النصائح إذا كان ذلك مفيداً لهما، كالعمل على تخفيض مقدار الاتاوة مثلاً، ولكنهما يخافان من التخلي تماماً عن التبعية لتركيا إذ انهما يدركان تماماً انهما في ظل الوضع الحالي للامور يتمتعان، في جوهر الأمر، باستقلال أكبر مما لو كانا تحت حماية بريطانيا. ووالي البصرة، الذي يخضع له هذان الشيخان، لم يكن لديه وسائل لا لابداء المقاومة بوجه المكائد البريطانية ولا للتغلب على الشيخين في حال عدم امتثالهما، وهذا ما يحدث غالباً جداً. اما بريطانيا فهي في هذه الأحوال إذ تتصرف، من جهة، عبر ممثليها في هذه المنطقة (وهم الاوروبيون الوحيدون هنا)، ومن جهة أخرى، عبر السفارة في القسطنطينية، تحول أي خلاف قليل الشأن، إذا لزمها ذلك، إلى حادث ضخم يلحق الاذى، على حد زعمها، بالمصالح البريطانية الكرامة البريطانية، ونتيجة لذلك يجري استبدال الوالي. لقد جرى استبدال أكثر من والٍ

بهذه الطريقة، وقبل وصولنا بما لايزيد عن خمسة اسابيع تم استبدال سلف مواسن باشا على يد بريطانيا بسب الكويت.
(ص 255 ظهر) ان مطامح الحكومة البريطانية لاحقاً ترمي إلى جعل مرافئ هذين الشيخين، ولا سيما الكويت، مغلقين. وهي بهذا تعول، على الارجح، على الحلول بسرعة محل تركيا فيما يتعلق بالشيخين. ولذا فهي تحاول جهدها لعزلهما عن التعامل مع أي دولة أخرى.
بين ممتلكات هذين الشيخين يمتد شريط ساحلي يوجد، عملياً، في ايدي تركيا. فالادارة هنا تركية، كما يرابط فيه عدد غير كبير من القوات التركية. فلو استوطن الانجليز في قطر والكويت لكان هذا الشريط انتقل عما قريب اليهم، وعند ذلك يغدو كل ساحل الخليج العربي بريطانيا وتزداد ثباتاً الهيمنة البريطانية على هذا الخليج. وبسبب ما عرضته لتوي بالذات اعتبر قنصلنا امراً مرغوباً فيه تعريج السفينة الموكلة اليَّ على الكويت، ولذا قررت، بعد تزويد معلومات اننا متجهون إلى الكويت حتى اتجهت "سفينكس" إلى هناك وغادرت المرفأ بعد يوم من مغادرتنا له.
(ص 256) أثناء وجودنا في الكويت قال الشيخ، الذي جاء خصيصاً، عشية وصولنا، من مقره في الصحراء لكي يستقبلنا، قال (كما أكد ذلك مقربوه) ان قائد "سفينكس" وسكرتير القنصل البريطاني حاولا مدة طويلة اقناعه بعدم تنظيم أية احتفالات بمناسبة وصولنا وان يبقى هو نفسه في الصحراء.
ويمكن لوضع الحجور الصحية في الخليج ان يعطي هو الآخر انطباعاً عن سياسة ومطامع الانجليز في هذه الاماكن. في السابق لم تكن توجد في إيران أية حجور صحية، ولكن عندما ظهر الطاعون في الهند منذ بضع سنوات خلت، اعتبروا في طهران امراً ضرورياً فرض حجور صحية في موانئ الخليج. غير ان الايرانيين اصطدموا لدى ذلك بمصاعب مختلفة، وبالدرجة الأولى بعدم توفر الأموال الكافية وعدم وجود اطباء عاملين من بين الايرانيينن اما استدعاء اطباء أجانب فمن شأنه ان يكلف ثمناً مرتفعاً جداً. وانبرت بريطانيا لنجدة الحكومة الإيرانية التي وضعت في حالة صعبة، واقترحت عليها اقامة حجور صحية في مرافئ إيران على حسابها. لا ازمع هنا اعطاء وصف مفصل عن تاريخ تنظيم الحجور الصحية البريطانية في ايران، فهي موصوفة بالتفصيل في تقرير طبيبنا مارك الموفد إلى الخليج العربي عام 1897؛ (ص 256 ظهر) وعلاوة على ذلك فإن طبيب السفينة الموكلة إليَّ سيقدم إلى المفتش الصحي العام للاسطول المعلومات التي حصل عليها عن وضع الحجور الصحية في الخليج العربي. واكتفى بالقول ان ذلك ليس حجوراً صحية لاجل تفادي انتشار الوباء، بل وسيلة بيد الانجليز للتمكن من تقوية نفوذهم في هذه الموانئ وخلق المصاعب بوجه السفن والاشخاص الذين يشكل وجودهم في مرافئ إيران امراً غير مرغوب فيه بالنسبة لهم. ففي العام الماضي، مثلاً، فرض على السفينة، التي كان يوجد على متنها القنصل العام الالماني الذي كان يقوم بجولة عبر إيران، حجر صحي

في المحمرة من 21 يوماً، في حين ان رئيس مصلحة البرق البريطانية لدى عودته في الوقت ذاته من بومباي، حيث ينتشر الطاعون منذ زمن بعيد، نزل على الفور إلى الشاطئ لدى وصول السفينة إلى بوشهر. وليس لدى الحجور الصحية اطباء ولا صيدليات ولا مبان مقبولة، اللهم الا الاكواخ المصنوعة من سعف النخيل والخالية من أية أسباب راحة. يوجد طبيب واحد لجميع الحجور الصحية، وهو ايضاً طبيب للقنصلية في بوشهر، اما في الموانئ الأخرى فيوجد مساعدو اطباء. (ص 257).

كما يساعد ويساند نفوذ بريطانيا المهيمن واهميتها في الخليج العربي انه يوجد لديها في جميع الموانئ عملاء في شخص القناصل ونواب القناصل والعملاء السريين، ويقف على رأسهم القنصل العام في بوشهر، الذي يدعى مقيماً في الخليج العربي، كالقنصلية الفرنسية في بوشهر مثلاً، فإن هذا المكان شاغر دائماً تقريباً، ويدير القنصلية ترجمان، هو الإيراني حاجي ميرزا حسين، الذي ليست له بالطبع، تلك الاهمية، التي يتسم بها قنصل فعلي من السلك الدبلوماسي. وبسبب ذلك فإن السلطات العليا المحلية، ذات الوضع المتقلقل جداً في تركيا وفي إيران على السواء، توجد في تبعية شديدة للممثلين البريطانيين، وهي محرومة عن امكانية الحصول على مساندة ممثلي أمم اخرى، إذ لا وجود لهؤلاء. لذلك فإن الحاكمين العامين في بوشهر والبصرة مضطران، حتى في أفضل الأحوال وخوفاً من الاطاحة بهما، لأن يأخذا في الحسبان متطلبات الممثلين البريطانيين.

وانني لاتجرأ على ابلاغ سموكم الامبراطوري بانه، إذا كان اضعاف نفوذ بريطانيا في الخليج العري وارداً في حساب حكومتنا فإن تعيين قنصلين في البصرة وبوشهر يعتبر امراً مفيداً ومرغوباً فيه للغاية، وكذلك ارسال سفينتنا كل عام إلى الخليج العربي. (ص57 ظهر) اما إذا اقتصر الأمر على زيارتنا هذه أو على ارسال سفن خلال فواصل مديدة من الزمن فإن ذلك سيجلب ضرراً بدلاً من الفائدة لأن الانجليز سوف يفسرونه باننا صادفنا مصاعب كبيرة لدرجة اننا لا نرغب في تكرار المحاولة. وقد ظهرت في الجريدة الانجليزية 'Times of India" مقالات اعربت بكل ثقة عن مثل هذا الأمل.

في بوشهر صادفت طبيبنا المستشار شانيافسكي كبير اطباء مستشفى تفليس الذي أرسلته بمأمورية لاجل مراقبة الامراض الوبائية في مرافئ الخليج العربي لجنة مكافحة وباء الطاعون، المشكلة بأمر من السلطات العليا. وإذ علمت من احاديثي مع شانيافسكي انه يلزمه بالضرورة احياناً التطواف، بحكم مأموريته، في موانئ الخليج العربي وانه تعوق ذلك الحجور الصحية التي، اولاً، تطيل كثيراً مدة كل سفرة، ثانياً، لا توحي بثقة تذكر من حيث حالتها الصحية، فقد اقترحت عليها، يستفيد من زيارتنا للمحمرة والبصرة حيث قد يقلصون لنا مدة الحجر الصحي، (ص258) واخيراً، ففي اقصى الأحوال سوف يقضي مدة الحجر الصحي في سفينة حربية

وليس في مقر حجر صحي تركي عديم النظافة. وبالاضافة إلى ذلك سوف يتقابل في البصرة مع قنصلنا الذي يمكن الحصول منه على معلومات مفيدة وصادقةبينما لا يمكن الاعتماد كلياً على المعلومات المستقاة من الانجليز القائمين هنا لانهم يرون في كل شخص روسي، يظهر في هذه الاماكن، جاسوساً، وهم على العموم يقفون موقفاً عدائياً سافراً من كل شيء روسي. فوافق السيد شانيافسكي بطيبة خاطر على اقتراحي، خاصة السفينة البريطانية "King Arthur' منذ امد غير بعيد من بومباي إلى بوشهر وعلى متنها مريض بالطاعون. فإن الطبيب البريطاني في بوشهر (وهو في الوقت نفسه طبيب القنصلية العامة البريطانية) قرر توجيه هذه السفينة إلى البصرة حيث توجد، في رأيه، جميع وسائل تطهير الركاب والسفينة والبضائع من الجراثيم. لقد كان يهم السيد شانيافسكي كثيراً التحقق من مدى فائدة التدابير المتخذة في البصرة ضد احتمال نشر "King Arthur" لوباء الطاعون. (ص258 ظهر) ولم يكن من الممكن الحصول على معلومات كهذه الا بمعونة شخص يعرف البصرة معرفة جيدة وله فيها بعض الروابط، وهذا الشخص هو قنصلنا كروغلوف. وبقى الدكتور شانيافسكي واحداً من الركاب السفينة طوال مدة ملاحتها من بوشهر إلى البصرة ذهاباً واياباً.

كانت علاقاتي، شأني شأن ضباط السفينة الموكلة اليَّ، تجاه قادة وضباط السفن البريطانية طوال كل مدة وجودنا في الخليج العربي ممتازة. فقد تبادلنا الزيارات والمجاملات بدون أي تكلف، بل ولم يحدث سوء تفاهم. وحتى ان الحديث عن تنبؤات الضباط الانجليز غير المبررة عن ان عمق القاع، مثلاً، عند مدخل شط العرب لا يتعدى 12.11 قدماً أثناء غموره بالمياه كان يثير الضحك فقط ويتحول إلى فكاهة. ومن بين الممثلين الساحليين لبريطانيا كانت لي علاقة فقط مع نائب القنصل البريطاني في المحمرة الذي أتى في زيارة للسفينة في اللحظة التي كنا فيها قد رفعنا المرساة. ومع ذلك فقط استقبلته، ووددت في طريق العودة من البصرة ان اتوقف عند المحمرة لكي ارد الزيارة له، ولكنني لم افعل ذلك بسبب قرار التعريج على الكويت، والا لكنا اضطررنا تحاشياً لملامة أولئك الانجليز أنفسهم ان نمضي فترة الحجر الصحي، وهو ما كان سيتطلب وقتاً طويلاً جداً، ولذا فقد بعثت له برسالة اعتذار. (ص 259) القناصل الآخرون لم يقوموا بزيارة للسفينة، وانا ايضاً لم ازرهم. وقد اعرب القنصل العام في بوشهر، كما ابلغني الحاكم العام والقنصل الفرنسي، عن دهشته من انني لم اقم بزيارة له. اما بالنسبة لي فقد كنت اعتبر امراً غير مستحسن في أحوال كهذه السفر إلى عند القنصل العام البريطاني لأن زيارة كهذه، وهي غير الزامية باية قواعد كانت، يمكن ان تفسر بمعنى غير مرغوب فيه بتاتاً بالنسبة لقائد سفينة روسية.

في الختام، لي الشرف ان اعرض على سموكم الامبراطوري انه، نظراً لتلك الحفاوة والترحاب الذين استقبلتنا بهما السلطات ولتلك البشاشة والاهتمام بنا من جانب السكان المحليين في إيران

وفي تركيا على السواء، فانني على ثقة بأن ظهور السفينة الحربية الروسية في مياه الخليج العربي لم يثر، سوى عند الانجليز، شبهات في وجود أية نوايا عدوانية لدى روسيا، بل على العكس احدث انطباعاً ملائماً ويعتبر امراً مرغوباً في المستقبل.

(ص259 ظهر) وانني، إذ آخذ بعين الاعتبار ان السلطات الإيرانية والتركية على السواء قدمت مساعدتها بمجاملة خاصة لدى ملاحة السفينة الموكلة اليَّ، اعتبر من المفيد جداً منح اوسمة روسية للحاكمين في بوشهر والبصرة أحمد خان ومحمد محسن باشا(4)، وكذلك لترجمان القنصلية الفرنسية في بوشهر حاجي ميرزا حسين. ان مكافأة كهذه تشجع هذين الحاكمين، وخليفتيهما في حال استبدالهما، في تقديم العون في المستقبل ايضاً لسفننا.

كما أرى واجباً على ان ابلغ سموكم الامبراطوري ان قنصلنا المستشار كروغلوف وسكرتيره الموظف من الدرجة التاسعة اوفسيينكو لم يقوما فقط بالناحية الشكلية لواجباتهما في الخدمة بل قدما مساعدة حازمة للسفينة بكل طيبة خاطر وتفضل، وهما يعتبران، بوصفهما مطلعين تماماً على المنطقة والتقاليد المحلية وعادات المعيشة واللغات (التركية والفارسية والعربية)، مفيدين جداً لقائد السفينة ومعاونين لطيفين في هذه الحالة (من جراء ميزات كروغلوف الشخصية) في قيام السفينة بالمهمة المعهودة إليها. (ص 260) لذلك فمن المرغوب فيه للغاية في المستقبل ايضاً، إذا ارسلت سفننا إلى الخليج العربي، ان يسافر القنصل من بغداد لملاقاة قائد سفينتنا.

المقدم البحري البارون اندرينيوس.

المفتش، الملازم الكسي فيسيلان

ملاحظات

1 . قائد اسطول المحيط الهادي الأمير الأكبر الكسي الكسندروفيتش.

2 . راجعوا النسخة المصورة للرسالة في الملحق الثاني.

3 . كان وصول السفن البريطانية مرتبطاً، في واقع الامر، بظهور "غيلياك" هنا.

4 . بفضل مساعي كروغلوف تلقى محسن باشا في أيلول (سبتمبر) 1900 نبأ بمنحه مكافأة. وقد اثارت هذه الخطوة اهتمام الدبلوماسيين الأجانب فأسرع قنصل فرنسا والمانيا في تقديم اقتراحين مماثلين إلى حكومتيهما (ملف "السفارة في القسطنطينية"، الاضبارة 1244، ص 172 . 174. بلاغ كروغلوف إلى القسطنطينية بتاريخ 1900/9/10، رقم 282).

رسالة اللجنة التكنيكية لوزارة البحرية إلى الأركان البحرية العامة (بشأن وضع رسوم هندسية لسفينة مرابطة لاجل الخليج العربي)، والبلاغ عن ملاحة السفينة "كورنيلوف" بتاريخ 19 شباط (فبراير) 1902

الملف رقم 417، القائمة 1، الاضبارة رقم 2547، ص 1. تطبع طبقاً للمخطوطة الاصلية المصادق عليها

تنشر لأول مرة

سري

احالت الأركان البحرية العامة، بخطاب رسمي مؤرخ في 4 كانون الثاني (يناير) من العام الجاري رقم 22، إلى اللجنة أمر الامين العام لوزارة البحرية بوضع تقرير إلى سموه عن التصورات العامة بصدد وضع رسوم هندسية لسفينة خفر سواحل لاجل القيام بخدمة ثابتة في مياه الخليج العربي.

وبناء عليه فإن اللجنة التكنيكية البحرية، بغية الاطلاع على ظروف الملاحة في الخليج العربي ونهر دجلة، طلبت من إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة ان تسلم اللجنة بلاغ قائد سفينة . "كورنيلوف" عن رحلتها الأولى في الخليج العربي.

وقد سلمت إدارة الشركة المذكورة اللجنة المعلومات المطلوبة، ورفعت اللجنة نسخة عنها إلى الأركان البحرية العامة للاطلاع عليها.

الرئيس الفريق البحري

(التوقيع غير مقروء)

فيدوتوف

امين السر

بلاغ العميل التجاري للشركة الروسية للملاحة والتجارة كلاسينغ

بشأن الرحلة

الأولى إلى الخليج العربي التي قامت بها

السفينة "كورنيلوف" من 3 شباط (فبراير)

إلى 1 أيار (مايو 1901

الملف رقم 417، القائمة 1، الاضبارة 2548، ص 142. يطبع طبق النسخة المطبوعة على الآلة الكاتبه

ينشر لأول مرة

(ص2) بناء على أمر السيد مدير الشركة الروسية للملاحة والتجارة أرسلت السفينة "كورنيلوف" في 3 شباط (فبراير) للمرة الأولى إلى الخليج العربي.

حتى هذا التاريخ لم تقم سفن تجارية روسية بزيارة الخليج العربي، وفي عام 1900 فقط زارته لأول مرة سفينة خفر السواحل الروسية "غيلياك"، وكان الغرض من هذا الخط الجديد اقامة علاقات تجارية مباشرة بين روسيا وجنوب ايران، ولهذه الغاية جرى في روسيا تحميل 548 مكاناً

بالمنسوجات والاواني والمصنوعات الزجاجية والمعدنية بلغ وزنها 2496 بوداً[1] من الشركات التجارية الروسية: شركة سافا ماروزوف،معمل نسيج الكتان الجديد في مدينة كوستروما لاصحابه آل بارانوف والاخوين ياسونينسكي، ومعمل نسيج بروخوروف تريوخغوري، وشركة تسيندل، وشركة كوزنتسوف، وجمعية "الاتحاد" التجاريتين خاريتوننكور وبرودسكاي، و 12500 صندوق من الكيروسين بلغ وزنها28125 بوداً من البيت التجاري "نوبل"و"مانتاشيف". ورافق هذه البضاعة كلها خمسة ممثلين عن الشركات المذكورة. وبصفة مسافر إلى الخليج العربي، إلى مدينة بوشهر، كان على السفينة ممثل الشركة التجارية الهولندية في إيران "Norzo Son" السيد موسمان مع زوجته وابنه.

كان طاقم السفينة يتألف من 57 شخصاً.

أثناء الطريق عرجت السفينة، بالاضافة إلى القسطنطينية في 5 . 6 شباط، على سميرنا في 8 شباط وعلى بيروت في 13 شباط.

(ص 2 ظهر) في القسطنطينية وفي بيروت حملنا منسوجات واوانٍ من إنتاج تركي لاجل البصرة وبغداد وجدة، وفي سميرنا حملنا الواحاً في رزم غابات الاناضول لاجل صناديق التمر لايصالها إلى البصرة، وبهذا ملأنا جميع العنابر تماماً.

وبما ان سميرنا كانت تعتبر مدينة غير ملائمة بسبب وباء الطاعون فقد اضطررنا بعد مغادرتها لتمضية 24 ساعة من الحجر الصحي في كلازومين. من الناحية التجارية يمكن للقسطنطينية وسميرنا وبيروت ان تساند، بدرجة معلومة، خط السير إلى الخليج العربي. وان نقل المنسوجات والاواني التركية الصنع من القسطنطينية إلى البصرة وبغداد يجري دائماً تقريباً ولو بكميات غير كبيرة ايضاً، واحياناً من بيروت كذلك، اما سميرنا فسوف تقدم، على الارجح، في المستقبل توريدات كبيرة من الالواح المرزومة لاجل صناديق التمر، وإذا كانت السفن المتجهة إلى الخليج العربي والعائدة منه، ابان سفر الحجاج الاتراك إلى جدة، الأمر الذي يحدث في شباط (فبراير) ذهاباً ونيسان (ابريل) اياباً، تملك عنابر داخلية مستعدة لاستقبال الركاب طبقاً لقواعد المجلس الصحي في القسطنطينية فإن هذه السفن ستكون مؤمنة من هذه الناحية ايضاً، اما في طريق العودة من الخليج العربي فيوجد دائماً Tombac وسجاد لاجل بيروت، ويمكن توقع ازدياد ارسال الحمولات في المستقبل من الخليج ولا سيما أثناء موسم البلح، وذلك لانه لا توجد حتى الآن اتصالات مباشرة مع المدن المذكورة.

(بور سعيد)، التي وصلناها في 14 شباط الساعة الثانية بعد الظهر، تعرضت السفينة لكشف صحي دام عدة ساعات، وذلك بسبب تعريجها على سميرنا.

---

[1] البود يساوي 16,38 كيلو غراماً. الناشر.

(السويس) بعد استلام الاحتياطي الضروري من الفحم لاجل المحركات . 9480 بودا، دخلنا قناة السويس في 16 شباط الساعة السادسة والنصف صباحاً، وبقينا هنا حتى الساعة 12 ظهراً ثم اقلعنا باتجاه جدة التي وصلناها في 19 شباط الساعة الثانية بعد الظهر.

(جدة، ص 3) لاجل تمييز الشعاب البحرية لدى الدخول إلى مرفأ جدة من الضروري ان تكون الشمس من الجانب أو من الخلف، ومن جراء ذلك يكون من المريح الاقتراب من الشعاب البحرية بعد حلول الظهر. والطريق الأكثر اماناً هو الدنو من الشعاب البحرية من الشمال بحيث يبقى شعب Abu - I - Gahad الابعد غرباً، إلى جهة اليمين، مع محاولة الاتجاه صوب بطائح جبلي Blackcore وJebel Sonmam حسبما جاء في كتاب ارشاد الملاحة وتعليمات الخرائط الشخصية.

في جدة يوجد مكلآن قائمان بين الشعاب، ولكن المكلأ الاخير ضيق جداً بالنسبة للسفن الكبيرة. يأتي طبيب الحجر الصحي إلى السفينة القادمة من أماكن غير مصابة بالوباء؛ والا فهو يتسلم اوراق السفينة في بيت صغير مبني خصيصاً لذلك في الشعاب عند المدخل إلى المكلأ، يسافر إليه لاجل استقبال السفن.

يضطلع بمهام عميل الشركة الروسية للملاحة والتجارة في جدة شخص يوناني يدعى W. Gallimbriti، اما سائر ممثلي البيوت التجارية الأوروبية فجميعهم انجليز.

القنصل الروسي في جدة فلاديمير فلاديميروفيتش تسيميرمان استقبلنا بحفاوة بالغة ووعدنا ببذل كل ما في وسعه لاجل مساندة المصالح التجارية الروسية على هذا الخط.

بالاضافة إلى نقل الحجاج المسلمين، الذي يشكل الدخول الرئيسي للتجارة، يجري احياناً ايضاً شحن كمية كبيرة من الـ Tombac والسجاد من الخليج العربي. بعدتسليم الحمولة المخصصة لجدة وانزال الركاب اقلعنا في 20 شباط الساعة 10 صباحاً باتجاه جيبوتي التي وصلناها في 23 شباط الساعة 6:30 مساء، (جيبوتي) جميع الاماكن القليلة الغور عند